

من مكتبة عبد الرحمن
ابن عود

كتاب طبقات المكلفين في الاخرة للشيخ
الامام العلامة الخبير الفهماء
ترجمان القرآن ناصر السنة المحمدية
علم الحفاظ وحمد المنقش شمس
الدين ابي عبد الله محمد ابي
بكر الزري الحنبلي
الشهيد باب القيم
الجوزية قدس
أحمد وحمه
ونور
ضم
بج

مكتبة جامعة الرياض - قسم المخطوطات
اسم الكتاب طبقات المكلفين في الاخرة
اسم المؤلف محمد بن ابي بكر الزري
تاريخ النسخ ١٢٩٥ هـ
عدد الاوراق ٢٨
ملاحظات
رقم ١٥٨٩
٢٨٤٢

بسم الله الرحمن الرحيم
 قال الشيخ الامام العالم العلامة شمس الدين ابو عبد الله محمد بن ابي بكر المعروف
 بابن قيم الجوزية رحمه الله برحمته **فصل** في مراتب الملقين في الدار الآخرة وطبقات
 تلامذتها **الطبقة الاولى** وهي العليا على الاطلاق مرتبة الرسالة فاكم الخلق
 على الله واخصهم بالزلف لذي رسلهم وهم المصطفون من عباده الذين سلم عليهم في
 العالمين كما قال تعالى وسلام على المرسلين وقال سلام على نوح في العالمين وسلام
 على ابراهيم كذا خبرني الشيخ سلام على الياسين وقال تعالى قل الحمد لله وسلام
 على عباده الذين اصطفى وجملة السلام هنا محتمل ان تكون داخلية في خبر
 القول فتكون معطوفة على الجملة الخبرية وهي الحمد لله ويكون الامر بالقول
 متساويا للجلتين معا وعلى هذا فيكون الوقف على الجملة الاخيرة ويكون
 محلها النصب محكية بالقول ومحتمل ان تكون جملة مستأنفة مستقلة معطوفة
 على جملة الطلب وعلى هذا فلا محل لها من الاعراب وهذا التقدير ارجح
 وعليه يكون السلام من الله عليهم وهو المطابق لما تقدم من سلامه سبحانه
 على رسله وعلى التقدير الاول يكون امرا بالسلام عليهم ولكن يقال على هذا
 كيف يعطى الخبر على الطلب مع تنافر ما بينهما فلا يحسن ان تم وذهب زيد ولا
 اخرج وقيل غرر ويحجب عن هذا بان جملة الطلب قد حكيت بجملة خبر
 ومثل هذا لا يمنع العطف فيه بالخبر على الجملة الطلبية لعدم تنافر الكلام
 وثبائنه ونظير هذا قوله قل انظر وما ذاق السوات والارض وما تغني الا
 بات والنذر عن قوم لا يؤمنون فقوله وما تغني الا بات ليس معطوفا على
 المحكي بالقول وهو انظر وما ذاق السوات والارض وما تغني الا بات ليس معطوفا على
 الطلب كقولك قل رب احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون

وقوله

وقوله وقول رب في علم اغفر وارحم وانت خير الراحمين والمقصود على هذا
 القول يكون الله سبحانه قد سلم على المصطفين من عباده والرسال افضلهم وقد
 اخبر سبحانه انه اخلصهم بخالصته ذكرى الدار وانهم عند من المصطفين الا خاض
 ويكفي في فضلهم وشرفهم ان الله سبحانه اختصهم بوجبه وجعلهم امنا على رسالته
 ووسايط بينه وبين عباده وخصهم بانواع كرامته فقام من اخيه خليفته
 من كلمة تكليم او منهم من رفعه على سائرهم ودرجات ولم يجعل لعباده وصولا
 اليه الا من طهرهم ولا دخول الى جنتهم الا طهرهم ولا يكتم احد منهم بكرامة
 الا على ابيهم هم اقرب الخلق اليه وسيلة وارفعهم عنده درجة واصبهم اليه
 واكرمهم عليه وبالجملة فخير الدنيا والآخرة انما ناله العباد على ايديهم وبهم
 عرف الله وبهم عبدوا طيعوا وصليت محابة تعا في الارض واعلا من منزلة
 اولوا العزم منهم المذكورون في قوله تعالى شرع لكم من الدين ما وصي به نوحا
 والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى وقوله تعالى واذا اخذنا
 من النبين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى اذ منهم
 وصولا هو الطبقة العليا من الخلايق وعليتهم قدور الشفاعة حتى يردوها
 الى خاتمهم وافضلهم **الطبقة الثانية** من عبادهم من الرسل على مراتبهم من
 تفضيل الله بعضهم على بعض **الطبقة الثالثة** الانبياء الذين لم يرسلوا
 الى اممهم وانما كانت لهم النبوة دون الرسالة واختصوا من امم الامم بالحي
 الله اليهم وارساله ملائكة اليهم واختصت الرسل عنهم بارسالهم الى الامم يدعونهم
 الى الله بشريعهم وامره واشتركوا في الوحي وتزول الملائكة عليهم **الطبقة**
الرابعة ورثة الرسل وخلفاءهم في اممهم وهم القائمون بما يوصوا به علما
 وعلماء ودعوة الخلق الى الله على طريقتهم ومنها جهم وهذا افضل مراتب الخلق

الطبقة الثانية

الطبقة الرابعة

بعد الرسالة والنبوة وهي مرتبة الصديقية وهذا قرآنهم اسم في كتابه بالانبياء فقال
 ومن يطع الله والرسول فقد وليا مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين
 والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا فجعل درجة الصديقية تلي درجة
 النبوة وهو لا هو الرابون وهو الذي يحون في العلم وهم الوسائط بين الله
 صلى الله عليه وسلم وامتته فهم خلفاؤه واوليائه وحزبه وخاصته وجملة دينه
 وهم المضمون لهم انهم لا يزالون على الحق لا يضلون من خذلهم ولا من خالفهم
 حتى ياتي امر الله وهم على ذلك وقال الحق والذين امنوا بالله ورسوله اولئك
 هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم اجرهم ونورهم وقد قيل بان الوقف
 على قوله هم الصديقون ثم يتبادر والشهداء عند ربهم لهم اجرهم فيكون
 الكلام جملتين اخبر في احدهما عن المؤمنين باسمه ورسوله انهم هم الصديقون
 والايما التام يستلزم العلم والعمل والدعوة الى الله سبحانه بالتعليم والصبر عليه
 واخبر في الثانية ان الشهداء عند ربهم لهم اجرهم ونورهم ومرتبة الصديقين
 فوق مرتبة الشهداء وهذا قدم عليهم في الايتين هنا وفي سورة النساء وهكذا
 جاوذكهم مقدما على الشهداء في كلام النبي صلى الله عليه وسلم في قوله اثبت احدنا
 عليه نبي وصديق وشهيدان وهذا كان نعت الصديقية وصفا لا فضل
 الخلق بعد الانبياء والمرسلين وهو ابو بكر الصديق رضي الله عنه ولو كان بعد النبوة
 درجة افضل من الصديقية لكانت لقبال رضي الله عنه وقيل ان الكلام كله جملة وا
 حدة واخبر عن المؤمنين بانهم هم الصديقون والشهداء عند ربهم وعلى هذا
 قال الشهداء الذين استشهدوا هم اسم على الناس يوم القيمة وهو قوله لتكونوا
 شهداء يوم المؤمنون فوصفهم بانهم صديقون في الدنيا شهداء على الناس يوم
 القيمة ويكون الشهداء وصفا لجملة المؤمنين الصديقين وقيل الشهداء هم

الذين

الذين قتلوا في سبيل الله وعلى هذا القول لا يخرج ان يكون الكلام جملتين
 ويكون قوله والشهداء جملة مبتدأ خبره ما بعده لانه ليس هو من صديقين
 شهداء في سبيل الله ويرجح ايضا لو كان الشهداء اخلا في جملة الخبر عن المؤمنين
 منين لكان قوله لهم اجرهم عند ربهم داخل ايضا في جملة الخبر عنهم ويكون
 قد اخبر عنهم بثلاثة اشياء احدها انهم هم الصديقون والثاني انهم الشهداء
 والثالث انهم لهم اجرهم ونورهم وذلك يتضمن عطف الخبر الثاني على الاول
 ثم ذكر الخبر الثالث مجردا عن العطف وهذا كما تقول زيد كريم وعالم له مال
 والا حسن ثنا سب الاخبار بان مجردها كلها من العطف او عطفها جميعها
 فتقول زيد كريم عالم له مال او كريم وعالم له مال فتأمله ويرجح ايضا
 ان الكلام يصير جملة مستقلة قد ذكر فيها اصناف خلقه السعد وهم الصديقون
 يقون والشهداء والصالحون وهم المذكورون في اول الآية وهم المتصدقون
 قون الذين اقرضوا الله قرضا حسنا فصوره بثلاثة اصناف ثم ذكر السائل
 في قوله لقد رسلنا رسلا بالسنات فتناول في ذلك الاصناف الاربعة المذكورة
 في سورة النساء فهو لا وهم السعد ثم ذكر الاشقياء وهم نوعان كفار ومنا
 فقعن فقال والذين كفروا كذبوا باياتنا واوليائنا اصحاب الجحيم وذكر المؤمنين
 فقيين يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين امنوا انظروا نفاقنا لانا
 العالم كلهم وترك سبحانه ذكر الخلق اصحاب الشايتين على طريقة القرآن في ذكر
 السعد والاشقياء دون الخلقين غالبا لسراقتضيه حكيمته سبحانه وتعالى
 فليذكر صاحب الخلط فانه راضيان له على الله ولا هو من اهل وعنده
 المطلق ولا يياس من رضاء الله فانه ليس من الكفار الذين قد قطع الله
 بالعذاب ولكنهم بين الجنة والنار واقف بين الوعد والوعيد كل منهما



يدعوه الى موحيه لا نه انا بسببه وهذا هو الذي لحظ القائلون بالمنزلة بين
المنزلتين ولكن غلطوا في تخليده في النار ولو نزلوه منزلة بين المنزلتين
ووظفوه الى المسنة وقالوا بانهم خرج من النار بتوحيده وایمانه لا صاحبوا
ولكن منزلة بين منزلتين وصاحبها مخلد في النار كما لا يقتضيه عقل
ولا سمع بل النص صريح المعلومه الصريحه تشهد بطلان قولهم
واسم اعلم وايضا فصاحب الشائتين يعلم حكمه من نصوص الوعد بخلو
والوعيد فان اسم رتب على كل جزا في الخير والشر فاذا انى العبد بها كان فيه
سبب الجزاين واسم سبحانه لا يضيع مثقال ذره فان كان عمل الشرا مما يو
هب سقوط اثر الحسنه كاللغير كان التاثير له وان لم يستقم كما
لمتخصيه ترتيب في حق الاثران ما لم يخط احد مما بسبب من الاستا
التي سندها انشاء الله فيها بعد والمقصود ان درجه الصديقين
والرابعين وورثه النبوة وخلافه الرسله هي افضل درجات الامه
ولو لم يكن من فضلها وشرها الا ايه كل من علم بتعظيمهم وارتبادهم
او علم غيره شيئا من ذلك كان له مثل اجره ما دام ذلك جاريا في الامه
على ما ياد الدهور وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اني ابي
طالب واسم لان يهدي اليهم اسمي بعد رجلا واحدا خير للا من ان يكون
من النعمه ووجه عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من سب في الاسلام سنة حسنة
فعمل بها بعد كان له مثل اجر من عمل بها لا ينقصه الا من اجورهم شيئا
وجه عنه انه قال اذا مات العبد انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية
او علم يتفقه به او ولد صالح يدعوا له ووجه عنه انه قال من يرد اسم
به خيرا يقره في الدين وفي السنن عنه قال ان العالم يستغفر له من

في

في السموات ومن في الارض حتى النملة في جحرها وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال
ان اسمي وملايكم يصلون على معلم الناس الخير وعنه صلى الله عليه وسلم انه
قال ان العلم وراثته الانبياء ان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا
العلم فمن اخذ اخذ بحظ وافرو عنه العالم والمتعلم شركان في الاجر ولا
خير في سائر الناس بعد وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان فضل الله امر سمع
مقالتي فوعاها فادها الى من سمعها والا حاديت في هذا كثيرا وقد
ذكرنا ما ينبغي دليل على فضل العلم واهله في كتاب مفرد وفي كتاب المفاتيح
لدار المعادة فيها ما من مرتبة ما اعلاها ومنقبة ما اجلها واستلها
ان يكون المرء في حياته مشغولا ببعض شغاله او في قمره قد صار
اسلا ووصلا لا يتفقه ويحقق حسنة متزايدة ثم انما الحسنات كل وقت
واعمال الخير مهددة اليهم من حيث لا يحتسب تلك واسم الكرم والغنايم
وفي ذلك فليستافس المتنافسون وعليه محمد الطاسدون وذلك فضل
اسم يؤقيم من يشاء الله ذو الفضل العظيم وحقيق بمرتبة هذا شأنها ان
تتفق فيها غايات الانفاص وعليها ويتبين السابقون اليها وتتوفر
عليها الاوقات وتوجه طوعها الطلبات فبما الله الذي يبيد مفاتيح
كل خير ان يفتح علينا خزائن رحمته ويجعلنا من اهل هذه المنة بمنه وكرمه
فاصحاب هذه المرتبة يدعون عظماء في ملكوت السما كما قال بعض السلف
من علم وعمل وعلم فذا له عظماء في ملكوت السما وهو لا علم له
حقا بعد بل رسول الله صلى الله عليه وسلم هو اذ يقول فيما روي عنه من وجوه
يسند بعضها بعضا على هذا العلم من كل خلق عدوله يتفنون عنه تحريف
الغالين واتحال البطلين وتاويل الجاهلين وما احسن ما قال فيهم الامام

الحمد في خطبة كتابه الرد على الجهمية الحارثية الذي جعل في كل زمان فترق من
 الرسل نفايا من اهل العلم يدعون من ضل الى الهدى ويصبرون منهم على
 الاذى ويصدرون بنور الله اهل العزم من قليل لا يلبس قدامه ومن ضل
 جاهل قد عدوه فما احسن اشرهم على الناس واقبح اشر الناس عليهم يتفوقون
 عن كتاب الله تاويل الجاهلين وكثير من الغالين واتى الابطالين وذكر
 ابن وضاح هذا الكلام عن عمر رضي الله عنه **الطبعة الخامسة**
 ائمة العدل وولاية الدين تا من بهم السبيل ويستقيم بهم العالم ويستنصر
 بهم الضعيف ويذل بهم الظالم ويامن بهم الخائف ويقام بهم الحرف ويبد
 فع بهم الفساد ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقام بهم حكم
 الكتاب والسنة وتطفي بهم نيران البدع والضلال وهو لا هم الذين
 تنصب لهم المنابر من النور عن عيون الرحمن عز وجل يوم القيمة فيكون
 نور عليها والولاية الظلمة قد صهرهم صهر الشمس قد بلغ منهم العرق
 مبلغهم وهم يحلون انقال مظالمهم العظيمة على ظهورهم الضعيف وفي يوم
 كان مثلك خمسين الف سنة ثم يرى سبيل احداهم اما الى الجنة واما الى
 النار قال النبي صلى الله عليه وسلم المقسطون عند الله على منابر من نور يوم
 القيمة عن يمين الرحمن تبارك وتعالى وكلنا يد يد يمين الذين يعدلون
 في حكمهم واهلهم وما اولوا وعنده صلى الله عليه وسلم ان احب خلق الى الله
 واقربهم منه منزلة يوم القيمة امام عادل وان ابغض خلق الى الله وابعدهم
 منه منزلة يوم القيمة امام جائر او كما قال وهو احد السبعة الاصناف الذين
 ينظم الله في ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله وكما كان الناس في ظل عدلهم في الدنيا
 كانوا هم في ظل عرش الرحمن يوم القيمة ظلا بظلمة ظلهم ولو لم يكن من

فضلاهم

بقية
 الح

فضلاهم وشرفهم الا ان اهل السماوات والارض والطير في الهواء يصلون
 عليهم ويستغفرون لهم ويدعونهم وولاية الظلمة يلعنهم من بين السماء
 والارض حتى الذباب والطير كما ان معلم الناس الخير يكلم على علم الله وملائكته
 يكتبه وكاتم العلم والهدى الذي انزل الله وحامل اهل على كتابه يلعنه الله وقبلا
 ويلعنه اللاعنون فيا لها من منقبة ومرتبعة ما اجلها واشرفها ان يكون
 الوالي والامام على فراشه وغيره يعمل بالخير ويكتب الحسنات في صحايفه
 في متر ايدة ما دام يعمل بعدله ولساعة واحدة منه خير من عباد
 اعوام من غيره فاذن هذا من صفته الغاش لرعيتهم الظالم الذي قد حرم
 الله عليهم الجنة واوجب له النار ويكفي في فضله وشرفه انه يكفى عن الله دعوه
 المظلوم كما في بعض الاثار ايها الملك المسلط المغرور اني لم ابعثك لترجع الدنيا
 بعضها الى بعض على بعض ولكن بعثنا لتكفي عن دعوة المظلوم فاني لا اجيبها
 ولو كانت من كافرا فاذن من هو نائم واعين القياد ساهو يدعوا الله له
 واخر عينهم ساهو يدعوا الله عليه **الطبعة السادسة**
 الى اهدرون في سبيل الله وهم جنود الله الذين يقيم بهم دينه ويدفع بهم باس
 اعدائهم ويحفظ بهم بيضة الاسلام وتحمي بهم صورة الدين وهم الذين يقام
 تلون اعداء الله ليكون الدين كله لله وتكون كلمة الله هي العليا قد بدلو
 انفسهم في محبة الله ونصر دينه واعلا كلمته ودفع اعدائهم وهم شركاء لكل
 من يحون به يسوقهم في اعمالهم التي يعملونها وان تناف ديارهم وهم مثل اجود
 من عبد الله بسبب جهادهم وفتورهم فانهم كانوا هم السبب فيه والشايع
 قد نزل المتسبب منزلة الفاعل الثام في الاجر والوزر وهذا كان
 الداعي الى الهدى والداعي الى الضلال لكل منهما بتسببه مثل اجر من اتبعه

الطبعة السادسة

وقد نظرت آيات الكتاب وتواترت نصوح من السنة على الترغيب في الجهاد
والحظ عليه ومدح اهل ولاضار عن ما هو عند ربهم من انواع الكرامات
والعطايا الجزليات ويكتفي في ذلك قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اهل
ادلكم على تجارة تتجركم من عذاب اليه فتشوق النفوس الى هذه التجارة
الرجحة التي الدال عليها رب العالمين العليم الحكيم فقال يؤمنون باسم
ورسوله وتجاهدوا في سبيل الله باموالكم وانفسكم فكان النفوس
صنعت بجبايتها وبغايها فقال ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون يعني ان الجهاد
خير لكم من قعودكم طلبا للحياة والسلامة فكانها قالت فما لنا في هذا
الجهاد من الحظ فقال يغفر لكم ذنوبكم ومع المغفرة يدخلكم جنات تجري من
حتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم فكانها
قالت هذا لنا في الآخرة فما لنا في الدنيا فقال واخري تحبونها نصيب من الله
وفير قريب وبشر المؤمنين فذلك ما احلى هذه الا لفاظ وما الصبر بها
بالكلوب وما اعظمها جديا لها وتيسر الى ربها وما الطي موقعا
من قلب كل محب ما اعظم غنى القلب واطيب عيش حين يياشر معانيها
ففسال الله من فضله انه جواد كريم ومن هذا قوله تعالى اجعلتم سقاية
الحاج وعمران المسجد الحرام كن امن باسمه واليوم الآخر وجاهد في
سبيل الله لا يستويون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين الذين
امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم رتبة
عند الله واواليا هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه وراضوان وجنا
لهم فيها نعيم مقيم خالد فيها ابدا ان الله عند اجرة عظيم فاخبر سبحانه انه
لا يستوي عنده عمار المسجد الحرام وجمعه عماره بالاعتكاف والطواف والصلاة

فإذا

هذه

هذه هي عمارة مساجد المرادة في القرآن واهل سقاية الحاج لا يستويون
هو واهل الجهاد في سبيله واخبر ان المؤمنين الى اهدى في سبيله
اعظم درجة عنده وانهم هم الفائزون وانهم هم اهل البشارة بالرحمة
والرضوان والجنات فتبين التسوية بين الى اهدى وعمار المسجد الحرام
بانواع العبادة مع ثباته على عماره يقول انما يعمر مساجد الله من امن
باسمه واليوم الآخر واقام الصلوة واتى الزكاة ولم يخش الا الله فسيق
ليكون ان يكونوا من المهتدين فهو لا عمار المساجد ومع هذا
فاهل الجهاد ارفع درجة عند الله منهم وقال تعالى لا يستوي القاعدون
من المؤمنين غير اولي الضرب والى اهدى في سبيل الله باموالهم
وانفسهم فضل الله الى اهدى باموالهم وانفسهم على القاعد من درجة
وكلا وعد الله احسن وفضل الله الى اهدى على القاعد من اجل عظيمها
درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما فتبين سبحانه التسوية
بين المؤمنين القاعد من الجهاد وبين الى اهدى ثم اخبر عن تفضيل
الى اهدى على القاعد من درجة ثم اخبر عن تفضيل عليهم درجات وقد
اشكل فهم هذه الآية على طائفة من الناس من جهة ان القاعد من الذين
فضل عليهم الى اهدى بدرجات ان كانوا اولي الضرب والقاعدون
الذين فضل عليهم الى اهدى هم غير اولي الضرب فيكون الى اهدى
افضل من القاعد من مطلقا وعلى هذا فما وجه استثناء اولي الضرب من
القاعد من وهم لا يستويون هم والى اهدى اصله فيكون حكم المستثنى
والمستثنى منه واحدا فهذا وجه الاشكال ونحن نذكر ما قاله هو في
الآية ثم نذكر ما ينيل الاشكال عندنا من فاضل القراني اعرب غير فاضل

دفعوا ونصبا واما في السبعة وقرئ بالجري في غير السبعة وهي قراءة ابي حنيفة
فاما قراءة النصب فعلى الاستثناء لان لا هو غير تعريف في الاستثناء اعرب
الاسم الواقع بعد لا وهو النصب هنا هذا هو الصحيح وقالت طا
يغنى اخرى انها نصب على الحال لا يستوي القاعدون وغيرهم وبين
اي لا يستوون في حال حكمهم والما بعدون والاستثناء المح فان غير
لا تكاد تقع حالا في كلامهم الا لضافته الى نكرة كقوله تعالى من اضطر غير
بإغ وقوله احلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وقوله
صلى الله عليه وسلم مرصدا بالوفد غير خزايا ولا ندامي فان اضيفت
الى معرفة كانت قابعة لما قبلها كقوله تعالى صراط الذين انعمت عليهم
غير المغضوب عليهم ولو قلت مرصدا بالوفد غير خزايا ولا ندامي
لجرت غير هذا هو المعروف من كلامهم والكلام في عدم تعريف غير
بالاضافة وحسن وقوعها اذ ذكر حاله مقام اخر وما الرفع
فعلى النعت للقاعد من هذا هو الصحيح وقال ابو الحسن هو خبر
مبتدأ محذوف وتقدم به الذين هم غير محلي الضمير والذي عمله على
هذا ظنه ان غير لا تقبل التعريف بالاضافة فلا تجزى صفة للمعرفة
وليس من ادعى ذلك حجة يعتمد عليها سوى قولهم ان غير ثبو غلت
في الابهام فلا تتعرف بما تضاف اليه وجواب هذا انها اذا دخلت بين
متنقلين لم يكن فيها ابرام لتعيينها ما تضاف اليه واما قراءة الجفها
وجها ايضا احد هو الصحيح انه نعت للمؤمنين والثاني وهو
قول المبرد انه بدل منه بناء على انه نكرة فلا تنعت به المعرفة وعلى الا
قوال كلها هو منهم معنى الاستثنى وان نفي التسوية غير مسلط على ما

اضيق

اضيق اليه غير وقوله فضل الله الى اهل دين على القاعد بها درجة هو
مبين لمعنى نفي المساواة قالوا والمعنى فضل الله الى اهل دين على القاعد
من اولى الضرر درجة واحدة لا متين عنه بل لها بنفسه وبما لم ثم اخبر
سبحانه ان الذين كلهم ما مو عود بالحق فقال وكل من عد به الحسن اي
الى اهل القاعد المضمر لا شتر في الايمان قالوا وفي هذا
دليل على تفضيل الغني المنفق على الفقير لان الله سبحانه اخبر ان الى اهل
بما له ونفسه افضل من القاعد وقدم الجهاد بالمال على الجهاد بالنفس
واما الفقير فنفي عنه الجرح بقوله ولا على الذين اذا ما اتوا لا تجد لهم
قلت لا يجد ما املك عليه فام من مقام من حكم له بالتفضيل الى مقام
من نفي عنه الجرح قالوا فلهذا احكم القاعد من اولى الضرر والما بعد
واما القاعد من غير اولى الضرر فقال سبحانه وفضل الله الى اهل دين على
القاعد من اجل عظيم درجات منة ومغفرة ودرجة وقوله درجات قيل
هو نصب على البدل من قوله اجر عظيم وقيل تأكيد له وان كان بغيب
لنظم لانه هو في المعنى قال قتادة كان يقال الاسلام درجة والهيمة في
الاسلام درجة والجهاد في الهيمة درجة والقتل في الجهاد درجة
وقال ابن زيد الدرجات التي فضل بها الى اهل دين على القاعد سبع وهي
التي ذكرها الله سبحانه في براه اذ يقول سبحانه ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ
ولا نصب ولا محصة في سبيل الله ولا يطاؤون موطئا يغيظ الكفار
ولا ينالون من عدو وشيلا الا كتب لهم عمل صالح ان الله لا يضيع اجر
الحسنين فهذا خمس ثم قال ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون
واذا بالاكسب لم تهاون اثنتان وقيل الدرجات سبعون درجة ما بين

الدرجتين حصص الفرس الجواد المضمون سبعون سنة والصلوات ان الدرجات
 هي المذكورة في حديث ابي هريرة الذي رواه البخاري في صحيحه عن النبي
 صلى الله عليه وسلم انه قال من امن بالله ورسوله واما الصلوات وصام
 رمضان كان حقا على الله ان يدخله الجنة عاجزا في سبيل الله او جليسا في
 التي ولد فيها قالوا يا رسول الله افلا خير الناس بذلك قال ان في الجنة
 مائة درجة اعد الله لها اهلها من في سبيله بين كل درجتين مائة
 السماء والارض فاذا سالته الله فاسئلوه الفردوس فانه وسط الجنة
 واعلى الجنة وفوق عرش الرحمن ومنه تخرج انهار الجنة قالوا وجعل سبحانه
 وبنا التفضيل الاول بدرجة فقط وجعله هاهنا درجات ومقدرة
 ودرجة وهذا يدل على انه تفضيل على غير اهل الجنة فانه قد مر هذا
 القول وايضا هو ولكن ينبغي ان يقال اذا كان اهل الجنة افضل من
 القاعد من مطلقا لزم ان لا يستوي مجاهد وقاعد مطلقا فلا يبنى
 في تفسير القاعد من يكون منهم من اهل الجنة بدرجة فانه لا يستوي
 المجاهدون والقاعدون من اهل الجنة ايضا فان القاعد من
 المذكورين في الآية الذين وقع التفضيل عليهم هم غير اهل الجنة
 لا القاعدون الذين هم اهل الجنة فانه لم يذكر حكمهم في الآية
 بل استثناهم وبين ان التفضيل على غيرهم فاللام في القاعدين للجهنم
 والمعهود من الذين اهل الجنة لا المضرون وايضا قالوا
 من المجاهد من لضعفة تمنعه من المجاهد لم مثل اجرائي هاهنا ثابت
 عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا مرض العبد او سافر كتب له اجر ما كان
 يعمل حتى يموت وقال ان بالمدينة اقواما ما سرتهم مسيرا ولا قطعتم

واديا

واديا الا وهم محكم قالوا هو بالمدينة قال وهو بالمدينة حبس العذر
 وعلى هذا الصواب ان يقال الآية دللت على ان القاعد من غير
 اهل الجنة عن الجهاد لا يستويون مع المجاهدين وسكت عن القاعد
 عديين من اهل الجنة فاما تدل على حكمهم بطريق منطوقها وريدك
 منطوقها على مساواتهم للمجاهدين بل هذا النوع ينقسم الى معذورين
 اهل الجهاد وعليه عذر واقدم ونيتهم جازمة لم تخلف عليها مقدورها
 وانما عذر العجز فهذا الذي يقتضيه ادلة الشرع ان لم مثل اجرائي هاهنا وهذا
 القسم لا يشاؤم الحكم بنفي التسوية وهذا لان قاعدة الشريعة العزم
 التام اذا اقترن به ما يمكن من القول او مقدمات الفعل نزل صاحبه
 في الثواب والعقاب منزلة الفاعل التام كما دل عليه قوله صلى الله عليه وسلم
 اذا تواجه المسلمان بسيفهما فقاتلوا فقاتلوا في النار قالوا هذا القائل
 فاما بالقول قال انه كان حريصا على قتل صاحبه وفي الترمذي ومسنده
 امام احمد حديث ابي كبشة الانباري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انما الدنيا
 لا ربة نزع عبد رقة الله ما لا وعلم فهو لا يتقي في ماله ربه ويصل رحمه
 ويعلم فيه حقا فهذا باصن المنازل عند الله وعبد رقة الله علما ولم
 يرزقه ما لا فهو يقول لو ان لي مالا فعلت فيه بعمل فلان فهو بنيتة وهو في
 الاجر سواء وعبد رقة الله ما لا ولم يرزقه علما فهو لا يتقي في ماله ربه
 ولا يصل رحمه ولا يعلم فيه حقا فهذا باصن المنازل عند الله وعبد رقة
 الله ما لا ولا علما فهو يقول لو ان لي مالا فعلت فيه بعمل فلان فهو
 بنيتة فهو في الوزر سواء فاخبر صلى الله عليه وسلم ان وزر الفاعل والناوي
 الذي ليس بمقدور الا بقوله دون فعلم سوى لانه اني بالنية ومقدوره



والله اعلم

الثام وكذلك اجرا لفاعل والناوي الذي اقترن قوله بنفسه وكذلك
المقتول الذي سئل السيف واراد به قتل اخيه المسلم فقتل نزل منزلة القاتل
لنفسه التامة التي اقترن بها مقدورهما من السعي والحركة ومثل هذا
قوله صلى الله عليه وسلم من دل على خير فله مثل اجر فاعله فانه بدلالة وثبت
نزل منزلة الفاعل ومثله من دعى الى هدى فله مثل اجر موجه من تبعه ومن
دعى الى ضلال كان عليه من الوزر مثل اثم من اتبعه لاجل نيته واقتران
مقدورهما من الدعوة ومثله اذا جاء المصلح الى المسجد ليصل جماعة
فادركهم وقد صلوا فصل واحد كتب له مثل اجر صلاة الجماعة بنفسه
وسعيه وقد جاء مصراجه في حديث مروي ومثل هذا من كان له
ورد يصلي من الليل فنام ومن نيته ان يقوم اليه فغلبه عنه نوم كتب
له اجر وورده وكان نومه عليه صدقة ومثله المريض والمساوق اذا كان
له عمل ففعل عنه بالمرض والسعي كتب له مثل عمله وهو محرم من
ومثله من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وكو
مات على فراشه ونظايرة للذكاة والقسر الثاني معدور ليس من
نيتة الجهاد ولا هو عازم عليه عند ما قاما هذا لا يستوي هو والمجا
هد في سبيل الله قد فضل الله المجاهد عليه وان كان معدورا لانه لا نية
له تحية بالفاعل التامة كنية اصحاب القسم الاول وقد قال النبي صلى الله عليه
وسلم في حديث عثمان ابن مظعون ان الله قد اوقع اجره على قدر نيته
فما كان القسم المعدور فيه هذا التفضيل الجزان يساوي بالمجاهد
ولا ينفي عنه المساواة مطلقا ودلالة المفهوم لا عموم لها فان العوم
انما هو من احكام الصيغ العامة وعوارض اللفاظ والدليل

الموجب

الموجب للقول بالمفهوم لا يدل على ان له عموما تحت اعتبار فان ادلة
المفهوم ترجع الى شيئين احدهما التخصيص والاخر التعليل فاما التخصيص
فهو ان تخصيص الحكم بالذكور يقتضي في الحكم عموما والابطلت فاق
بذات التخصيص وهذا لا يقتضي العموم ويسلب حكم المنطوق عن جميع
صور المفهوم لان قاعدة التخصيص قد تحصل بانقسام صور المفهوم
الى ما يسلب الحكم عن بعضها وببقية لبعضها وشيوت تفضل فيه فثبتت
له حكم المنطوق على وجه دون وجه اما بشرط لا تحت مراعاته في المنطوق
واما في وقت دون وقت بخلاف حكم قاعدة المنطوق فانه ثابت ابد
وخوذة ذلك من فوائد التخصيص واذا كانت قاعدة التخصيص خاصة
بالتفضيل والانقسام قد عوى لزوم العموم من التخصيص عوى
باطلة فثبتت بحجج الحكم واما التعليل فانهم قالوا ترتيب الحكم على هذا
الوصف المناسب لم يقتضي في الحكم عن ما عداه والالم يكن الوصف
الذكور علة وهذا ايضا لا يستلزم عموم النفي عن كل ما عداه وانما
غايته امتضاءه في الحكم المرتب على ذلك الوصف عن الصور المنفي
عنه الوصف واما نفي الحكم جملة فلا يجوز ثبوته بوصف اخر وعلم
اخر فان الحكم الواحد بالنوع يجوز تعليله بعلة مختلفة وفي الوا
حد بالعين كلام ليس هذا موضع ومثال هذا ما نحن فيه فان قوله
تعالى لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدين
ون لا يدل على مساواة الضرر بين المجاهدين مطلقا من حيث انفسهم
بل ان ثبتت المساواة فانها معللة بوصف اخر وهي النية الحازمة والعزم
الثام والضرر المانع من الجهاد في تلك الحال لا يكون مانعا من المساواة

في الاجروا له اعلم والمقصود الكلام على طبقات الناس في الآخرة وما
النصوص والآراء على فضل الجهاد واهله فاكثرت من ان تذكر هنا ولعلها
ان تفرق في كتاب على هذا النمط ان شاء الله فلهذا الدرجات الثلاث هي
درجات السبق اعني درجة العلم والعدل والجهاد وبها سبق الصغار
رضي الله عنهم وادركوا من قبلهم وفاتوا من بعدهم واستولوا على الارض
مكة البعيدة وحازوا قصبك العلم وكانوا السبب في وصول الاسلام
الىنا وفي كل خير وهدى وسبب ينال به السعادة والنجاة وهم اعداء الامم
فيما اولوه واعظمها جهاد في سبيل الله والامة في اثارة عظم علمهم
وعدوهم وجاهدوا الى يوم القيمة فلا ينال احد منهم ماله على نافع الا على الله
بهم ومن ظنهم ينالها ولا تسكن بقعة من الارض من الا بسبب جهادهم
وهم وقتولهم ولا يحكم امام ولا حاكم بعدل وهدى الا كانوا هم في
في السبب في وصوله فوالله انما فتحوا البلاد بالسيف والقلوب بالايان
وعمروا البلاد بالعدل والقلوب بالعلم والهدى فلهذا من الاجر بغير جوار
الامة الى يوم القيمة مضاعفا الى اخر ما علم التي اختصوا بها فسيان من يتقص
بفضلهم ورحمتهم من يشاء وانما نالوا هذا بالعلم والجهاد والحكم بالعدل
وهذه مراتب السبق التي رتبها الله من يشاء من عباده **الطبقة السابعة**
بعض اهل الانبياء والصدقة والاحسان الى الناس باموالهم على الله
اختلاف حاجاتهم ومصلحتهم من تفتح كبرياتهم ودفع ضرورتهم وكفايتهم
في ممانتهم وهم احد الصنفين الذين قال النبي صلى الله عليه وسلم لا حاد الا في
اثنين رجل اناء الله الحكمة فهو يقضي بها ويقلمها الناس ورجل اناء الله
مالا وسلطه على هلكته في الحق يعني انه لا ينبغي لاحد ان يغيبط احد على نعمة
ويتنبي

طبقة السابعة

9
ويتنبي مثلها الا احد هذين وذلك لما فيهما من النفع العام والاحسان
المتعدى الى الخلق فهذا ينفعهم بعلمه وهذا ينفعهم بماله والخلق كلهم
عيالى الله واحبهم اليه انفعهم لعياله ولا ريب ان هذين الصنفين
من انفع الناس لعيالى الله ولا يقوم امرنا من الا بهذين الصنفين ولا
يعمر العالم الا بهما قال تعالى الذين يتفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون
ما اتفقوا مني ولا اذى لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون
وقال تعالى الذين يتفقون اموالهم بالليل والنهار رسل وعلاية فلهذا اجرهم
عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقال تعالى ان الصدقات والمصدق
قات واقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف على كل هم اجر كريم وقال تعالى من ذا الذي
يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط واليه
يرجعون وقال من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله اجر كريم
فقد سجدت بحجته الآية بالحق انواع الخطاب وهو الامتنان المتضمن للمنفعة
الطلب وهو ابلغ في اللطف من صيغة الامر والمعنى هل احد يبذل هذا
القدر الحسن فيجازي عليه اضعافا مضاعفة وسمي ذلك الاتفاق قرضا
حسنا للنفس وبعثا لها على البذل لان البذل متى علم ان عين ماله
يعود ولا بد طوعت له نفسه بذله وسهل عليه اخراجه فان علم ان المستقر
ملي وفيه حسن كان ابلغ في طيب قلبه وسماحة نفسه فان علم ان المستقر
يخسر له بما اقترضه وينيب له ويتمم حتى يصير اضعاف ما بذله كان بالقرض
اسم فان علم انه مع ذلك يربطه من فضله وعطائه اجر اخر من غير حبس القرض
واحد ذلك لاجر خط عظم وعطاكم فانه لا يخلق من قرضه الا لافه في نفسه
من الخيال والشح او عدم الثقة بالانسان وذلك من ضعف ايمانه ولهذا

كانت الصدقة برهاناً صاحبها وهذه الامور كلها تحت هذه الالفاظ التي تضمنتها
الاية فانه سبحانه سواه قرضاً واخبرانه هو المقرض لا قرضاً جابياً ولكن
قرضاً صاناً الى القرض واستدعاء لمعلمته ليعرف هذا مقدار الخراج فهو
الذي اعطاه ماله واستدعى منه معاملته به ثم اخبر عن ما يرجع اليه بالقرض
وهو الاضغاف المضاعفة ثم اخبر عن ما يعطيه فوق ذلك من الزيادة
وهو الاجر الكريم العظيم وصيحت جاز هذا الاقرض في القرآن قيده بكونه
حسناً وذكر جمع امور ثلاثة احدها ان يكون من طيب ماله من ربح
ومن خبيثه ان لا يمن به ولا يؤذي فالاول يتعلق بالمال والثاني
يتعلق بالمنفق بينه وبين الله تعالى والثالث بينه وبين الاخذ وقال تعالى
مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة اقيت سبع سنابل في
كل سنبله مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم وهذه الاية
كانها كالتفسير والبيان لمقدار الاضغاف التي يضاعفها المقرض ومثله سبحانه
بهذا المثل احضار الصورة التضعيف في الاذهان بهذه الحبة التي غشت
في الارض فانبثت سبع سنابل في كل سنبله مائة حبة حتى كان القلب ينظر
الى التضعيف بغيره بما ينظر اليه في هذه السنابل التي هي من الحبة الواحدة
فينضاف الشاهد العيان الى الشاهد الايمان في القرائن فيقوى ايمان المنفق
وتشعر نفسه بالانفاق وتامل كيف جمع السنبلة في هذه الاية على سنابل
وهي من جمع الكثرة اذا المقام مقام تكثير وتضعيف وجمعها على سنبلة في قوله
وسبع سنبلات فضموا خبرا بسات وهي من مجموع القلن لان السبعة قليلة
ولا مقتضى للتكثير وقوله تعالى والله يضاعف لمن يشاء قيل المعنى والله يضاعف

هذه

هذه المضاعفة لمن يشاء لا لكل منفق بل يختص برحمته من يشاء وذكر الانفاق
احوال الانفاق في نفسه وفي صفات المنفق واحواله وفي سعة الحاجة
وعظيم النفع وحسن الموقع وقيل والله يضاعف فوق ذلك فلا يقتصر
به على السبع مائة بل يحاق في المضاعفة هذا المقدار الى اضعاف كثيرة
واختلف في تقدير الاية فقليل مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله
كمثل حبة وقيل مثل الذين ينفقون في سبيل الله كمثل باذرجية لنظايق
المثل للمثل به فحينئذ اربعة اموال منفق ونفقة وبأذن وبغيره فذكر
من كل شئ اعم قسميه فذكر من شئ كمثل المنفق اذ المقصود ذكر
حاله وشأنه وسكنت عن ذكر النفقة لدلالة اللفظ عليها وذكر من الممثل
شئ الممثل به البذر اذ هو المثل الذي حصلت فيه المضاعفة وترك ذكر
البذر لان الغرض لا يتعلق بذكره فتمامل هذه البلاغة والقصاحة
والايجاز التضمن لغاية البيان وهذا كثير في امثال القرآن بل عامتها
تدور على هذا النمط ثم ختم الاية باسمين من اسمائه الحسنى طابقي لسياقتها
وهي الواسع العليم فلا يستبعد العبد هذا المضاعفة ولا يضيق عنها
عظمه فان المضاعف واسع العطا واسع الغنا واسع الفضل ومع ذلك
فلا يظن ان سعة عطائه تقتضي حصولها لكل منفق فانه عليم بمن يصلح
لهذه المضاعفة وهو اهل لها ومن لا يستحقها ولا هو اهل لها فان ذكره
سبحانه وفصله لا ينافي حكمته بل يوضح فضله مواضع بسعته ورحمته
ويعلم من ليس من اهل حكمته وعلمه ثم قال تعالى الذين ينفقون اموالهم
في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منها ولا اذى لهم اجرهم عند ربهم
ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون هذا بيان القرض الحسن ما هو وهو

ان يكون في سبيل اي في مرضاة والطريق الموصلة اليه ومن اهمها سبيل
الجهاد في سبيل الله خاص وعام والخاص جزء من السبيل العام وان
يقع صدقة من بين ولا اذى فالحسن نوعان احدهما من يقلم من غير ان
يصح بلسانه له وهذا وان لم يبطل الصدقة فهو بمنزلة شرا من منته الله عليه
في اعطائه المال وحرمان غيره وتوفيقه للبذل ومنع منه ظلمه المنة
عليه من كل وجه فكيف يشهد قلبه منه لغيره والتوحيح الثاني ان يمن
عليه بلسانه فيعتد على من احسن اليه باحسانه ويرى انه اصطنعه وان
اوجب عليه حقا وطوقه منه في عنقه ويقول اعطيتك كذا وكذا ويعد
اياديه عنده قال سفيان يقول اعطيتك واعطيتك فاشكرت وقال
عبد الرحمن بن زيد كان ابي يقول اذا اعطيت رجلا شيئا ورايت ان سلا
مك ينقل عليه فكف سلامك عنه وكانوا يقولون اذا صنعت صنعة
فانصوها واذا اسدي اليكم صنعة فلا تنسوها وفي ذلك قيل
وان امر اهدي الي صنعة وذكرتها من قبل **وقيل**
صنوعان من قهر سايلة قهر من قهر منع نائلة وطن **وخصر** الله على عباده
المن بالصنعة والخصر به صفة لنفسه لانه من العباد تكدير وتغيير ومن
اسبحه انه افضل وتذكير وايضا فانه هو المنع في نفس الامر والعباد وسوا
يطفئ المنع على عبده في الحقيقة وايضا فالامتنان استعداد وكسر اذلال
لمن يمن عليه ولا تفعل العبودية والذل لاله وايضا فالمنة ان يشهد
المعطي انه هو رب الفضل والنعام وانه ولي النعمة وسديها وليس ذلك
في الحقيقة لانه وايضا فالمان يعطيه يشهد نفسه منفعها على الاخذ مستغلا
عليه غنيا عنه عزيزا ويشهد ذل الاخذ وحاجته اليه وفاقة ولا ينبغي ذلك

للعبد

للعبد وايضا فان المعطي قد تولى له ثوابه ورد عليه ثواب ما اعطى ففي
عوض ما اعطى عند الله تعالى حق بقله قبل الاخذ فاذا امتن عليه فقد
ظلم ظلماتا وادعى ان حقه في قبله ومن هنا والله اعلم بطلت صدقة باليمن
فانه لما كانت معاوضة ومعاملته مع الله وعز وجل ذل الصدقة عنده
فلم يرض به ولا حظ العوض من الاخذ والمعاملة عنده فمن عليه بما اعطاه
ابطل معاوضته مع الله ومعاملته له فتأمل هذه النصائح من الله لعباده
ودلائها على ربوبيته والاهيته وحده وانه يبطل عمل من نازعه في شيء
من ربوبيته والاهيته لا اله غيره ولا رب سواه وشبه بقوله ثم لا
لا يتبعون ما اتفقوا منا ولا اذى على ان المن والاذى ولو تراخى عن
الصدقة وطال زمانه ضربه بقاصبه ولم يحصل له مقصود الاتفاق
ولو لم يوافق بالواو وقال ولا يتبعون ما اتفقوا منا ولا اذى لا وهمت
تقييد ذلك بالحال واذا كان المن والاذى المتراخي يبطل لا اثر الاتفاق مانع
من الثواب فالمقارن اولى واحرى وبأمل كيف جرد الخبرها هنا عن القاء
فقال لهم اجزم عند ربهم وقرنه بالقافي قوله الذين يتفقون امواهم بالليل
والنهار سرا وعلانية فلم اجمع عند ربهم فان القاف الداخلة على خبر
المستد الموصول او الموصوف بنهم معنى الشرط والخزوان الخبر محقق
بما تضمنه المستد من الصلة او الصفة فلما كان المقام هنا يقتضي بيان خص
المستحق للخزادون غيره جرد الخبر دون عن القافان المعنى ان الذي
يتفق ماله له ولا يمن ولا يوذى هو الذي يتحقق الاجر المذكور لا الذي
يتفق لغيره ولا من يمن ويوذى بنفقة فليس المقام مقام شرط وجبر
بل مقام بيان المستحق من غير وفي الآية الاخرى ذكر الاتفاق بالليل

بلا

والنهار سرا وعلا نية فذكر عموم الاوقات وعموم الافعال فاقى بالقافي الخبر
ليدل على ان الاقاي في الوقت وجد من ليل او نهارا وعلى حاله وجد من سرا
علا نية فانه سبب الجزا على كل حال فليبادر اليه العبد ولا ينتظر غير وقت
وصاله فلا يؤخر نفقة الليل اذا حضر الى النهار ولا نفقة النهار الى الليل
ولا ينتظر نفقة العلا نية وقت السرى ولا نفقة السرى وقت العلا نية فان
نفقة في اي وقت وعلى اي حال وجدت سبب كراجه وثوابه فقد بر هذه
الا سراج القرآن فلعلم لا تظفر بها فيما يربك من التفاضل بين المنة
والفضل له وحده لا شريك له ثم قال نقول معروف ومغفرة خير من صدقة
يتبعها اذى واسم غني حليم فاخبرنا ان القول المعروف وهو الذي تعفيه
القلوب ولا تنكره والمغفرة وهي العفو عن من اساء اليك خير من الصدقة
المقرونة بالاذى فالقول احسان وصدقة بالقول والمغفرة احسان
بترك المواخاة والمقابلة فهما نوعان من انواع الاحسان والصدقة
المقرونة بالاذى حسنة مقترنة بما يبطلها ولا ريب ان حسنتين خير من
حسنة باطله ويدخل في هذا القول المعروف الجميل على السائل والعبد
الحسنة والدعاء الصالح له ونحو ذلك ويدخل في المغفرة مغفرة السائل اذا
وجد منه بعض الجفوة والاذى بسبب رده فيكون عفو عنه خيرا من ان
يتصدق عليه ويؤذيه هذا على المشهور من القولين في الآية والقول
الثاني ان المغفرة من اسم اي مغفرة لكم من اسم بسبب القول المعروف والث
الجميل خير من صدقة يتبعها اذى وفيها قول ثالث اي مغفرة من السائل
اذا رد وتغذر المسؤل خير من ان يناله منه صدقة يتبعها اذى واضح
الاقوال هو الاول ويليه الثاني والثالث ضعيف جدا لانه لفظ

انما هو المنفق المسؤل لا السائل الاخذ والمعنى ان قول المعروف له
والتي او نزو العفو خير من ان تصدق عليه ويؤذيه ثم ختم الآية هـ
بصفتين مناسبتين لما تضمنته فقال واسم غني حليم وفيه معنيان ان اسم
غني عنكم لمن يناله شيء من صدقاتكم وانما الحظ الا وفركم في الصدقة فنقلها
عابدا اليكم لا اليه سبحانه فكيف بمنفق بين بنفقة وبوذي بها مع غني اسم التام
عنها وعن كل ما سواه ومع هذا فهو حليم اذ لم يعامل الممان المؤذي بالعفو
وفي ضمن هذا الوعيد والتحذير والمعنى الثاني انه سعى ان يجمع غناه التام
من كروجه هو الموصوف بالي والي او نزو الصبر مع عطية الواسع وصد
قائه العفة فكيف يؤذي احدكم بملكته واذاه مع قلته ما يعطي وترارته وفقره
ثم قال نقول يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم باليمن والاذى كالذي ينفق
ماله رياء الناس ولا يؤمن باسمه واليوم الاخر فقلتم كمثل صفوان عليه تراب
فاصابه وابل فتركه صليلا لا يقدر روى على شيء مما كسبوا واسم لا يهدي
القوم الكافرين فتضمنت هذه الآية الاخبار بان المؤمن والاذى يبطل
الصدقة وهذا دليل على ان الحسنة قد تحبط بالسيئة مع قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم فوق صوت النجي ولا تجرروا
له بالقول لجرس بعضكم لبعض ان تحبط اي لكم وانتم لا تعلمون وقد تقدم
الكلام على هذه المسألة في موضع اخر قد يقال ان المؤمن والاذى المقارن
للصدقة هو الذي يبطلها دون ما يلحقها بعد هذا الا انه ليس في اللفظ
ما يدل على هذا التقييد والسياق يدل على ابطالها به مطلقا وقد يقال
تمثيله بالمراعي الذي لا يؤمن باسمه واليوم الاخر يدل على ان المؤمن والاذى
ذي المبتطل هو المقارن كالراي عدم الايمان فان الراي لو تاخر عن العمل

لم يطلع ويحجب عن هذا جو ابن احد عما ان التشبيه وقع في الحال التي
يحيط بها القول وهي حال المرآة والماء المودى في ان كل واحد منهما محيط
العمل الثاني ان الريا لا يكون الامتنان للعمل لانه في حال من الروية اي
صاحبه يعمل ليري الناس علمه فلا يكون متراضا وهذا بخلاف المؤمن
والاذى فانه يكون مقارنا ومتراضا وراضيه اكثر من مقارنته
وقوله كالذي ينفق اما ان يكون المعنى كالبطل الذي ينفق فيكون
قد شبه البطل بالابطال والمعنى لا تكونوا كالذي ينفق ماله ربا
الناس فيكون تشبيها للمنفق بالمنفق وقوله فمثله اي مثل هذا
المنفق الذي قد يظن ثواب نفقته كمثل صفوان وهو الخبيث المفسد
وفيه قولان احدهما انه واحد والثاني انه جمع صفوان علمه من
فاساده وابل فتركه صلبا وهو الامس الذي لا شيء عليه من نبات
ولا غيره وهذا من ابلغ الامثال واحسنها فانه يتضمن تشبيه قلب
هذا المنفق للرا الذي لم يصدر برائفة عن ايمان بانه واليوم الاخر
بالجسد ويد وصدقاته وعدم الانتفاع به وتضمن تشبيه ما علق
به من اثر الفسق بالقيار الذي علق به كالحجر والوايل الذي
ازال ذلك التراب عن الحجر فاذهب به بالماء الاذى ابطال صدقة هذا
وانزلها كما يذهب الوايل التراب على الحجر فيتركه صلبا فلا يقدر المنفق
على شيء من ثوابه لبطالته ونزوله وفيه معنى اخر وهو ان المنفق
لغير الله هو في الظاهر عامل عمل لا يترتب عليه الا اجر ونزول كما
نزلوا الجنة التي اذ اندرت في التراب الطيب انبت سبع سنابل في
كل سنبله مائة حبة ولكن ورا هذا الاتفاق مانع يمنع من نموه ونزوله

كان تحت التراب يحجب منع من نبات ما يذرى من الحبيب فلا ينبت ولا يخرج
شأما قال ومثل الذين يتفقون امواتهم ابتغاء مرضات الله وتبنيها من
انفسهم كمثال حبة بريرة اصابتها وابل فانت اكلها صنفين فان لم يصيبها
وابل فظلوا به بما تعلمون بصير هذا مثل الذي يصدر نفقته عن الاخلاص
والصدق فان ابتغاء مرضات الله هو الاخلاص والتبني من النفس
هو الصدق في البذل فان المنفق يعترضه عند تفاقه افتيان ان غنا
منها كان مثله ما ذكر في هذه الآية احدا على اطلعه بنفقة محمد او ثنائيه
او غرضها من اغراضه الدنيوية وهذا حال اكثر المنفقين والرافة الثانية
صنف نفقته بالبذل وتفا عسها وتردد ها هل تفعل ام لا فالرافة الا
ولو تزول بابتغاء مرضات الله والرافة الثانية تزول بالتبني فان تبني
النفس تشجيعها وتغويتها والرافة الاولى البذل وهذا هو صدقها
وطلب مرضات الادة وجههم وحده وهذا اخلاصها فاذا كان مصدر
الاتفاق عن ذلك كان مثله حبة وهي البستان الكثير الاشجار فهو محبت
بها اي مستر ليس قاعا قارعا وغا الجنة بريرة وهو المكان المرتفع زراعتها
الكل من الجنة المستقلة التي بالوهاد والحضير لا بها اذا ارتفعت كانت
بمدرجة الاهوية والرياح وكانت صاحبة الشمس وقت طلوعها واستوا
بها وغروبها فكانت انضج ثمرها واطيبه واحسنه واكثره فان الثمار تنزاد
طيبا ونزلا بالشمس والرياح بخلاف النار التي تنشا في الظلال واذا كانت
الجنة بمكان مرتفع لم تجش عليها الا من قلة الشرب فقال تعالى اصابتها
وهو المطر الشديد بالعظم القطر فادت ثمرتها واعطت بركتها في خربت
ثمرتها فعني ما خرج غيرها او ضعف ما كانت تثمر بسبب ذلك الوايل فهذا

حال السابقين المقربين فان يصعبها وابل فطل وهو دون الوايل فانه يكفيها
لكرم منبها وطيب مغرسها يكتفي في اخراج بركتها بالطل وهذا حال الابرار
المقتصدين في النفقة وهو درجات عند الله فاحباب الوايل اعلاهم درجة
وهو الذين يتقنون موايلهم بالليل والنهار سرا وعلانية ويؤثرون على
انفسهم ولو كان بهم خصاصة واصحاب الطل مقتصدون في مثل حال القسرين
واعمالهم بالجنة على الريوة ونفقتهم الكثرة والقليلة بالوايل والطل وكان
كل واحد من المطربين يوجب زكاة اكل الجنة ونحوه بالاضعاف فكذلك نفقتهم
كثيرة كانت او قليلة بعد ان صدرت عن ابتغاء مرضات الله والتثبيت
من نفوسهم في زكاة عند الله نامية مضاعفة واختلف في الضعفين
فقل مضاعفا الشيء مثله زايده عليه وضعفه مثله وقل ضعفه مثله
وضعفه ثلاثة امثاله وثلاثة اضعافه اربعة امثاله طاراد
ضعفا زاد مثله والذي حمل هذا القائل على ذلك فانه من استواد مائة
المفرد والتشبيه فانه راي ضعف الشيء هو مثله الزايده عليه فاذا ضم الى المثل
صار مثليه وهذا الضعف فلو قيل انها ضعفان لم يكن فرق بين المفرد
والمتنفي فالضعفان حده مثله مضافان الى الاصل ويلزم من هذا ان
يكون ثلاثة اضعافه ثلاثة امثاله مضافا الى الاصل وهذا ابداء للصواب
ان الضعفين هما المثلان فقط الاصل ومثله وعليه يدل قوله تعالى
فانت اكلها ضعفين اي مثليين ولهذا قال في المحسنات نوتها اجرها
مرتين واماماتو هموه من استواد دالة المفرد والتشبيه فوه من مشاه
ظن ان الضعفي هو المتزوج الاصل وليس كذلك بل المثل له اعتباران
ان اعتبر وحده فهو الضعفي وان اعتبر مع نظيره فاما الضعفان والله

اعلم واختلف في رفع قوله فطل فقل مبتدا خبره مخذوف اي فطل يكفيها وقيل
خبر مبتدأ مخذوف اي قاله في بيرونها وجيبها طل والضمير في اصابتها اما ان
يرجع الجنة او الى الريوة وهما متلازمان ثم قال تعالى ابود احدكم ان تكون له
جنة من خيل واعناب تجري من تحته الا نهال له فيها من كل الثمرات واصابه
الكبر ولم ذرية ضعفا فاصابها اعصار فيه نازلة صرقت كذا كذا بين الله
لكم الايات لعلمكم تتفكرون قال الحسن هذا مثل قل والله من يعقله من
الناس شيء كبير ضعيف جسمه وكثر صبيانه افقر ما كان الى جنته وان احد
كم افقر والله ما يكون الى علم اذا انقطعت الدنيا وفي صحاح البخاري عن
عبد الله بن عمر قال قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيمن ترون هذا
الاية نزلت ابود احدكم ان تكون له جنة قالوا الله اعلم قال قولوا نعلم او لا
نعلم فقال ابن عباس في نفسي منها شيء يا امير المؤمنين قال قل يا ابن ابي و
تحقره بنفسك قال ابن عباس ضربت مثلا لعمل قال عمر اي عمل قال ابن عباس
لعمل قال عمر لعل عمل طاعة الله ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى اخفت
اعماله فقوله تعالى ابود احدكم اخبره في جنة الا ستغفوا له الا انكاره وهو يبلغ من
النوى والنهي والظن موقعا كما ترى غيرك يفعل فعلا فيم افتقوا العقل
هذا عاقل يفعل هذا من يخاف الله والدار الآخرة وقال ابود احدكم بلفظ
الواحد لتضمنه معنى الانكار العام كما تقول يفعل هذا احد فيه خير وهو
يبلغ في الانكار من ان يقال ابودون وقوله تعالى ابود يبلغ في هذا الانكار
من لو قيل ابود لان محبة هذا الحال المذكورة ونسبها اجمع وانكر من مجرد
ارادتها وقوله ان تكون له جنة من خيل واعناب خسر هذا بين النوعين من
الثمار بالذكور لانها اشرف انواع الثمار واكثرها منافع فان منها القوت

والغذا والشراب والفاكهة والخلو والى امض وموكلان رطبا وبيا ومنافعها
كثيرة جدا وقد اختلفوا في الانتفع والافضل منها ما قرحت طائفة النخل ورجحت
طائفة العنب وذكر كل طائفة في القوطا ذكرها في غير هذا الموضع
وفصل الخطاب ان هذا يختلف باختلاف البلاد فان الله سبحانه اجري العا
دة بان سلطان احد هما لا يحل حيث سلطان الاخرى فالارض التي يكون فيها
النخل لا يكون العنب فيها طائلا ولا كثيرا لانه انما يخرج في الارض الرخوة اللينة
المعتدلة غير السخنة فينبو فيها ويكثر واما النخل فهو وكثرته في الارض
الحارة السخنة وهي لا تناسب نخل العنب فالنخل في ارضه وموضع انتفع
وافضل من العنب فيها والعنب في ارضه ومعدته افضل من النخل فيها والله
اعلم والقصود ان هذين النوعين هما افضل انواع الثمار واكثرها
وانفعها فالجنة المشتملة عليهما من افضل الجنان ومع هذا فالانهار تجري
من تحت هذه الجنة وذلك لعلها واعظم في قدرها ومع ذلك فليقدم شيئا
من انواع الثمار المشتهية بل فيها من كل الثمرات ولكن معظمها ومقصود
ها النخل والاعناب فلا تنافي بين كونها من نخل واعناب وفيها من كل
الثمرات وتظهر هذا قوله تعالى واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما
جنس من اعناب وصفناهما بنخل وجعلنا بينهما ذرعا الى قوله وكان له عمر
وقد قيل ان الثمار ههنا وفي آية البقرة المراد بها المنافع والاموال والسيات
يدل على انها الثمار المعروفة لا غيرها لقوله ههنا وله فيها من كل الثمرات
ثم قال فاصحابها اي الجنة اعصار فيه نار فاحترقت وفي الكافي واصيط بثمر
فاصير قلب كفيه على ما انتفع فيها وهي خاوية على عروشها وما ذكره الا
ثمار الجنة ثم قال تعالى واصابه الكبر هذا اشار الى شدة حاجته الى الجنة وتعلق

قلبه

قلبه بها من وجوه احدها انه قد كبرت سنة عن الكبر والتجارة ونحوها
الثاني ان ابن ادم عند كبره يشتد حرصه الثالث ان له ذرية فهو حرص
على بقا جنته حاجته وواجبة ذرية الرابع انهم ضعفاء في كل عليه لا يتفقون
بقوتهم وتصبرهم الى ما سر ان نفقهم عليه لصنعهم وعجزهم وهذا نهاية
ما يكون من تعلق القلب بهذه الجنة لظنهم انها في نفسها وشدة حاجته وحاجة
ذرية اليها فاذا تصورت هذه الحال وهذه الحاجة فكيف يكون مصيبة
هذا الرجل اذا اصاب جنته اعصار وهي الریح التي تستدرب في الارض ثم
ترفع في طبقات الجو كالبحر وفيها نار سرت تتلوه الجنة فاحترقت وصير
تبار ما اقصى و الله احسن هذا مثل قوله من يقبله من الناس
ولقد نبه سبحانه على عظم هذا المثل وجذب القلوب الى التفكير فيه لشدته
حاجتها اليه فقال كذلك بين الله لك الامايات لعلكم تتفكرون فلو فكر العا
قل في هذا المثل وجعله قبله قلبه لكفاه وشفاه ففك هذا الصدد اذا عمل
طاعة ثم ابتعد بها بما ينطلي ويغيرها من معاصي الله كانت كالا عصار ذي
النار لحرق الجنة التي غرسها بطاعته وعمله الصالح ولو كان هذه
المواضع اهم مما ظاهرا بعدد من ذكر مجرد الطاعات لم تذكرها وله
لكنها من اهم الامور والله المستعان الموفق لرضائه فلو تصور العامل
بمعصية الله بعد طاعته هذا المعنى حق تصوره وتأمله كما ينبغي لما سوت
له نفسه والله اغراق اعماله الصالحة واضاعتها ولكن لا بد ان يغيب
عنه علمه بذلك عند المعصية ولهذا يستحق اسم الجاهل فكل من عصي الله
فهو جاهل فان قيل الواو في قوله واصابه الكبر واو الحال ام واو العطف
واذا كانت واو العطف فعلا مرعطت ما جدد ما قلت فيه وجهان

اصحابه واولي الختاره الزمخشري والمعنى ابودان تكون له جنة
 شانه كذا وكذا في حال كبر وموت من ضعف ذنبه الثاني ان يكون
 العطف على المعنى فان فعل التمتع وهو قول ابودان احدكم يطلب الماضي
 كثيرا فكان المعنى ابودان لو كانت له جنة من خيل واعناب واصابه
 الكثير فحي عليها ما ذكر وتامل كيف ضرب اسم سبحانه هذا المثل
 للمنفق المرائي الذي لم يصدر اتفاقية عن الايمان بالصقوان الذي
 عليه التراب فانه لم يثبت شيئا أصلا بل ذهب بذر ضايعا لعدم ايمانه
 واخلاصه ثم ضرب المثل لمن عمل بطاعة الله فخلصه الله ثم عرض
 له ما ابطل ثوابه بالجنة التي هي من احسن الجنان واطيبها وانظر
 ثم سلط الله عليها الا عصار النار في حرقها فان هذا ثبت له شيء وانما
 له عمل ثم احرق والاول لم يحصل له شيء يدركه الحق فتسار من جعل
 كلامه حياة للقلوب وشفا للصدور وهذا ثم قال تعالى يا ايها
 الذين امنوا اتقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من وراثةكم
 الخبيث منه تنفقون اضاف سبحانه الكسب اليهم وان كان هو الخالق
 لا فاعلم لانه فعلهم القام بهم واستدار لا خزانة اليه لانه ليس فعلا
 لهم ولا هو مقدورهم فاضاف مقدورهم اليهم واضاف مفعول الذي
 لا قدره لهم عليه اليه في ضمنه الرد على من سوى بين النوعين وطلب
 قدرة العبد وفعله وتأثيره عنهما بالطية وخص سبحانه هذين
 النوعين وهما الخراج من الارض والاصل لكسب التجارة دون غير
 هما من المواشي ما يحسب الواقع فانها كانا اغلب اموال القوم
 اذ ذاك فان المهاجرين كانوا اصحاب تجارة وكسب والافراد

الارض

كانوا

كانوا اصحاب عيش ونزع فخص هذين النوعين بالذكر طاعتهم
 الى بيان حكمهما وعموم وجودهما اما لانهما اصول الاموال وما
 عداها فغنى ما يكون ومنهما ينشأ ان الكسب يدخل فيه التجارة كلها
 على اختلاف اصنافها وانواعها من الملايس والمطاعم والالات
 والامتنعة وسائر ما يتعلق به التجارة والرفيق والحيوانات والخراج
 من الارض يتناول جميعها ونمارها وركازها ومعدنها وهذان هما
 اصول الاموال واغلبها على الارض فكان ذكرها هو ثم قال تعالى
 يهو الخبيث منه تنفقون فلهي سبحانه عن قصد اخراج الردي
 كما هو عادة اكثر النفوس تمسك الجيد لها وتخرج الردي للفقير ونهيه
 سبحانه عن قصد ذلك وتبهم فيه ما يشبه العذر لمن فعل ذلك لا عن
 قصد وتبهم بل ما عن اتفاق او كان هو الخبيث اذ ذاك او كان
 ماله من جنسه فان هذا لم يتبهم الخبيث بل تبهم اخراجه مما هو عليه ومثل
 قوله ينفقون موضع الحال اي لا تقصدوه منفقين منه ثم قال تعالى
 ولي ياخذ به الا ان يفضوا فيه اي لو كنتم انتم المستحقين له وبذلك لم
 لم تأخذوه في حقوقكم الا ان تتساحلوا في اخذها وتترخصوا فيه من
 قولهم اغض فلا ان عن بعض حقه ويقال للمبايع اغض اي لا تستقص
 كما لم يقصد حقيقة من اغض الخفق فكان الرأي لكراهته له لا لئلا
 عينه منه بل بغض من بصره وبغض عنه بعض نظرة بغضاله ومنه
 قول الشاعر لم نعبا بالوتر قوم وللضمير رجال يرضون بالانحاض
 وفيه معنيان احدهما كيف يبدلون له ويهدون له ما لا يرضون
 به لانه لم ولا يرضى احدكم من صاحبه ان يهديه له والله احق

عن قوله

من تخير له خيار الاشياء وانفسها والثاني كيف تجعلون له ما تكبرهون
 لا تفكر وهو سبيل ان لا يقبل الا طيبا ثم ختم الآية بصفتين يقتضيهما
 سابقا فقال واعلموا ان الله غني عما يعبدون من دونه فاني اقول له الذي
 فان قابل الردى طيبا اما ان يقبله طاعة اليه واما ان نفسه لا ثابا له
 كمالها ونشرها واما الغنى عنه الشرفي القدر الكامل الاوصاف فانه
 لا يقبله ثم تعا الشيطان يقدمكم الفقر ويامركم بالخشيا والله يعلمكم مغفرة
 منه وفضله واسم واسع عليه هذه الآية تضمن الحضر على الاتفاق والحث
 عليه بالبلغ الالفاظ واحسن المعاني فانها اشتملت على بيان الداعي
 الى الخيال والداعي الى البذل والاتفاق وبيان ما يدعوا داعي الامرين
 فاضرب تعالى ان الذي يدعوه الى الخيال والشح هو الشيطان واخبر ان
 دعوته هي بما بعد فهمه ويخوفهم من الفقر انفق امواهم وهذا
 هو الداعي الغالب على الخلق فانه يرام بالصدقة والبذل فيجرف قلوبهم
 داعيا يقول له متى خرجت هذا دعوتك الحاجة اليه وافترقت اليه بعد
 اخراجه فاساكنه خير لك حتى لا تبغى مثل الفقر فغناك خير لك من غناه
 فاذا صور له هذه الصورة امره بالخشيا وهو الخيال الذي هو من افق
 الفواحش وهذا جماع من المفسرين ان الخشيا هنا هي الخيال فهذا وعده
 وهذا امر وهو الكاذب في وعده الغار القاصر في امره فاستجاب له
 عوته مغرور ومخدوع مغبون فانه يدالي من يدعوه بغروره ثم يوزده
 شرا لموارده كما قال ولا هو بغرورهم اوردتهم ان الخبيث لمن والاه غل
 هذا وان وعده له بالفقر ليس شفقة عليه ولا نصيحة له كما ينهى الرجل
 اخاه ولا محبة في بقائه غنيا بل لا شيء احب اليه من فقره وجاهله وانما

قال

الامان قايما سكر غناه
 لا يضره
 لا يضره

وعده

وعده له بالفقر وامره اياه بالخيال ليس طمعه بربه ويترك ما يحبه بربه من
 الاتفاق لوجهه فيستوجب منه الجزاء واما الله سبحانه فانه بعد
 عبده على انفاقه مغفرة منه لذنوبه وفضلا بان يخلق عليه اكثر مما
 انفق واسعه ضعا فاما في الاخرة او في الدنيا والاخرة فهذا وعده
 الله وذلك وعده الشيطان فليست الخيال المنفق باي الوعد من هو
 اوثق والى ايها يطهر قلبه وتسكر نفسه واسم يوفق من يشا ويخذل
 من يشا وهو الواسع العليم وتامل كيف ختم هذه الآية بهذين الاسمين
 فانه واسع الغنى واسع العطا عليه من يستحق فضله ومن يستحق عذابه
 له فيعطى هذا بفضله ويمنع هذا بعذابه وهو يظلم شي عليه فتأمل
 هذا الكلام ولا تستغل بسط الكلام فيها فان لها شأنا لا يعقله الا من
 عقل عن الله وخطابه وفهم مراده وتلك الامثال تضمنها للناس
 وما يعقلها الا العالمون وتامل كيف ختم هذه السورة التي هي سنام القرآن
 باحكام الاموال وافسام الاغنيا واصحابه وكيف قسمهم الى ثلاثة اقسام
 محسن وهم المتصدقون وقدر جزاءهم وذكر مضاعفة وما هو في قرض
 امواهم لكي الوفاء ثم حذرهم مما يبطل ثواب صدقاتهم ويحرف ثوابهم
 استوابها وتلك الاما من المس والاذى وحذرهم مما تترتب اثرها عليها
 ابتداء من الربا ثم امرهم بان يتقربوا اليه بطيبها ويرد عليهم واردها
 وخشيها ثم حذرهم من الاستيابة لداعي الخيال والخشيا واخبر ان استيابة
 يتم لدعوته وتقتلهم بوعده اولى بهم ثم اخبر ان من حلكته التي يفي
 بها من يشا من عباده وان من اوتىها فقد اوتي ما هو خير
 منه وافضل من الدنيا كلها لانه سبحانه وصف الدنيا بالقليلة فقال

بني

هذه

قل مناج الدنيا قليل وقال من يوت اليكم فقد اوتي خيرا كثيرا فدل على
انه ما يوتيكم عنده من حكمة خيرة من الدنيا وما عليها ولا يعقل هذا كل
احد بل لا يعقله الا من له لب وعقل زكي فقال وما يذكر الا اولو الالباب
ثم اخبر سبحانه ان كل ما انفقوه من نفقة او تقربوا اليه من نذر فانه يعلمه
فلا يصير له بل يعلم ما كان لو جهل منه ما كان لغيره في ازي بالمضاعفة
ما كان لو جهلهم ويحل جزاء من عمل لغيره الى من عمل له فانه ظالم لنفسه وما له
من نصيب من اخبر سبحانه عن احوال المتصدقين لو جهلهم في صدقاتهم
وانه يثيبهم عليهم بالابد وها او كتبوها بعد ان تكون خالصة لو جهلهم
فان قال ان تبدوا الصدقات فنعى ما هي اي فنعى شيء هو وهذا مدح بها
موصوفة بكونها طاهرة باقية فلا يتوهم مبدئها بطلان اجرة ونحوها
فلا يمنع ذلك من اخراجها وينتظن ان من الاخفا في نفوس ويعتبر من
الموانع ويحال بينه وبين قلبه او بينه وبين اخراجها ولا يفرق صدقة العلة
بعد حضور وقتها الى وقت السر وهذا كانت حال الصواب رضي الله عنهم
ثم قال وان تخفوها وتؤتوها الفقرا فهو خير لكم فافضلها اعطائها
الفقير في خفية خير للنفق من اخفائها واعلانها وانما مل تقيدها لا اخفائها
بانياء الفقرا خاصة ولم يقل وان تخفوها فهو خير لكم فان من الصدقة ما لا
يمكن اخفاؤها كخير من جيش وبنافضة او اجل بيت او غير ذلك واما
ايناؤها الفقرا في اخفائها من الفوائد المستر عليهم وعدم تحجيله بين
الناس واقامته مقام التقية وان يرى الناس ان يده هي اليد السفلى وان
فقير لا يسمي فيزهدون في معاملته ومفاوضته وهذا قد مر زائد من
الاحسان اليه بجر الصدقة مع تضمنه الاضطرار وعدم المراهية وطلب

الخير

الخير من الناس فكان اخفاؤها للفقير خيرا من اظهارها بين الناس
ومن هذا مدح النبي صلى الله عليه وسلم صدقة السر والشي على فاعلمها واخبر
انه احد السبعة الذين هم في ظل عرش الرحمن يوم القيمة وهذا جعل سبحانه
خيرا للنفق واخبر انه يكفر عنه بذلك الاتفاق من سيئاته ولا يخفى عليه
سبحانه اعمالكم ولا تياتكم فانه بما تعملون خبير ثم اخبر ان هذا الاتفاق انما
هو نفقة لانفسهم يعود عليهم احوال ما كانوا اليه فكيف يحل اصدركم عن
نفسه بما نفقه فخص بها عايد اليها وان نفقة المؤمن من انما تكون استغناء
وجهم خالصا لها صادرة عن ايمانهم وان نفقتهم ترجع اليهم واقية كما
مكة ولا يظنون منها شقال ذرة وصدور هذا الكلام فان هذا الله سبحانه
هو الهادي الموفق لمعاملته وانياد مرضاته وان ليس على رسوله هذا
يتهم بل عليهم ابلاغهم وهو سبحانه الذي يوفق من يشاء مرضاته ثم ذكر
سبحانه المصنف الذي توضع فيه الصدقة فقال للفقرا الذين احصوا
في سبيل الله لا يستطيعون منة في الارض يحسبهم الى اهل اغنيا من النفق
تقرهم سيما هو لا يسألون الناس الى ايا فو صغرهم بت صفات اصدرا
النفق الثانية يحسبهم انفسهم في سبيلهم بها وجهاد اعدائهم ونصرو دينه
واصل الحسد المنع فتعوا انفسهم من نصرة فيها في اشغال الدنيا وقصرها
على دنياها وفي سبيلهم الثالثة يحسبهم عن الاسفار للكتب والكتب
في الارض هو السرفا ليعلم ان سيكون منهم مرضى واخرون يرضون
في الارض يتبعون من فضل الله وقيل لها واذا نصبتهم في الارض فليس
عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة الرابعة شدة تقفهم وهو من
صبرهم واظهارهم الغنا حتى يحسبهم الى اهل عالم اغنيا من تقفهم

وعدم تعرضهم وكتمانهم حاجتهم الى اسمهم يعرفون بسمهم وهي العلامة
الذاتية على اهلهم التي وصفهم اسمها وهذا لا ينافي حسان الى اهل انهم اغتيا
لان الى اهل له ظاهر لا مر والعارف هو المتوسم المتدبر الذي يعرف
النام بسمهم وهذا وصف الى اهل يكونه يظنهم اغتيا وقال تعرفهم بسمهم
ولم يقل يعرفون بسمهم فالمتوسمون خواص المؤمنين كما قال تعالى في
ذكر الايات للتوسمين السادسة تركهم مسألة الناس لا يبالونهم شيئا
والا الى ان هو الى الى والى متسلط عليهم ما عاي لا يبالون ولا يخفون
فليس يقع منهم سوال يكون بسببه الخاف وهذا كقولهم
على لاجب لا يندري لمناره اي ليس فيه منار مهدي به وفيه كالنبي على ان
المذموم من سوال هو سوال الى الى فاما سوال بقدر الضرورة
من غير الخاف فالافضل تركه ولا تجرم فهذه ست صفات للمحققين
الصديقه فالغياها اكثر الناس من خفوا منها ظاهرا القدر ونريه من غير حقيقة
واما سائر الصفات المذكورة فغير نزيها لها ومن يعرفهم بعرفهم واسم يتخصص
فيقيم من يشا فهو لا هم الحسنون في اموالهم القسم الثاني وهم الظالمون وهم
صند هو لا وهم الذين يتنجسون المحتاج المظطر فاذا دعت الى جهة اليهم
لم ينفسوا كريمة الا بزيادة على ما يبدلون له وهم اهل الربا فذكرهم بقا بعد هذا
فقال يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما بيني وبينكم من الربا ان كنتم مؤمنين
فصد الربا بالاية لا من يتقوا الله المعنادة للربا وامر بترك ما بيني وبين الربا بعد ذلك
والاية وعذابه عن ما يقضوه به قبل التحريم ولو لا ذلك لردوا ما يقضوه
قبل التحريم وعلق هذا الامثال على وجود الايمان منهم والمعلق على الشرط
متفق عند انتقائه ثم اكد عليهم التحريم بالعلف شيئا واسما وهي محاربة

المراي

المراي به ولم يرسوله فقال فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله في ضمن
هذا الوعيد ان المراي محارب لله ورسوله قد اذنت بحربه ولم تحي هذا الوعيد
في كبره سوى الربا وقطع الطريق والسعي في الارض بالفساد لان كل واحد
حد منها مفسد في الارض وقاطع الطريق على الناس بغيره ولم تسلط عليهم
هذا ما متاعهم من تفخيخ كرياتهم الا بخيلها كريات اشد منها فاطبر عن
قطاع الطريق بانهم يحاربون الله ورسوله واذن هو لا ان لم يتركوا الجح
وحرب رسولهم ثم قال وان تبتم فلكم رؤوسكم او لكم يعني ان تركتم الربا وتبتم
الى الله منه وقد عاقبتم عليه فانما لكم رؤوسكم او لكم لا تتدانون عليها
فتظلمون الاخذ ولا تنقصون منها فبطلكم من اخذها فان كان هذا
القاضي معسرا فالواجب انظاره الى ميسره وان تصدقتم عليه وابلتموه
فهو افضل لكم وخير لكم فان ابت نفوسكم وتحت بالعدل الواجب او الفضل
المندوب فذكروها يوم تترجعون فيه الى الله وتلقون ربكم فيوفىكم جزل
اعمالكم اخرج ما انتم اليه فذكر سبحانه المحسن وهو المتصدق ثم عقبه بالظالم
وهو المراي ثم ذكر العادل في اية التداين فقال يا ايها امنوا اذا تدانتم بين
الاجل اسمي الاية ولو لان هذه الاية تستدعي سخر او حدها ان كرت
بعض تفسيرها والغرض انما هو التنبية والامتناع وقد ذكر العادل وهو
اخذ راس المال من غريمه لا بزيادة ولا نقصان ثم ختم السورة بهذه الائمة
العظيمة التي هي من كثر تحت عرشه والسيطان يفر من البيت التي تقرأ فيه وفيها
من العلوم والعارف وقوا عدلا اسلام واصول الايمان ومقامات الاوصيا
ما يستدعي بيان كفايا مفرد او المقصود الكلام على طبقات الخلايق في الدار
الآخرة فلنعود الى المقصود المذموم فان هذا من سعي القلم ولعله اهم ما

المراد

عن بصره في طبقات الاربعة من طبقات الامة هم اهل الاحسان والنفق
المتعدى وهم العلماء وائمة العدل واهل الجهاد واهل الصدقة وبنو الاموال
في مرضات الله فهو لا ملوك الاضرة وصحابي حسناتهم متزايدة على فيها
الحسنات في بطون الارض ما دامت اثارهم في الدنيا فالحسنات من نعمته ما
اجلها وكرامته ما اعظمها يخص الله بها من يشاء من عباده **الطبعة**
الثامنة طبقة من فتح الله لهم بابا من ابواب الخير انما هم على نفس كالصلاة
والحج والعمرة وقراءة القرآن والصوم والاعتكاف والذكر ونحوها متنافا
الى ادائها في الله عليه فهو جاهل في تكثير حسناته وملا كحيفته بها واذا
عمل خطية تاب الى الله منها فهذا على خير عظيم ولم يواب امثاله من اعمال
الاضرة ولكن ليس له الا عمل فادامات طوبى كحيفته بموت هذه طبقة اهل
الرجح والخصوة ايضا عند الله **الطبعة التاسعة** طبقة اهل النجاة وهي
طبقة من يودي فرايض الله ويترك كل ما ربه مقتصد على ذكر لا يزيد عليه
ولا ينقص منه فلا يتعدى الى ما حرم الله عليه ولا يزيد على ما فرض الله عليه وهذا
من المخلين بضمائم رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخبره بشرايع الاسلام
والله لا يريد على هذا ولا انقص منه فقال اخرج ان صدق واصحاب هذه الطبقة
مضمون لهم على تكفير الله بكثير سيئاتهم اذا اذوا فرايضه واجتنبوا كبائر
ما نهى الله عنه قال تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وند
خلكم مداخلكم ما وصى الله عليه وسلم انه قال الصلوات الخمس ورمضان
الى رمضان والجمعة الى الجمعة مكفرات لما بينهما من ما لم يغفر كبيره فان غشي
اهل الطبقة كبيرة وتابوا منها توبة نصوحا لم يجرؤوا من طبقتهم وكانوا
بمثلة من لا ذنب لهم فتكثير الصغائر يرفع بشيئين احدهما الحسنات الماحية

والثاني

والثاني اجتناب الكبائر وقد نص عليها سبحانه في كتابه فقال تعالى اقم الصلاة
طريقا لها رزقا من اللب من الحسنات يذهبن السيئات وقال ان تجتنبوا
كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم **الطبعة العاشرة** طبقة
طبعة قوم اسرفوا على انفسهم وغشوا كبائر ما نهى الله عنه لكن رزقوا التوبة
النصوح قبل الموت فتابوا على توبتهم فلهذا لا ينجون من عذاب
الله اما قطعاً عند قوم واما ظاهراً عند قوم رجاء عند اصرين وهم موقوفون
الى المسئلة ولكن نصوح القرآن والسنة تدل على نجاتهم وقبول توبتهم وهو
وعده وعدهم الله اياه والله لا يخلف الميعاد **قال** قيل فالفرق بين
هذه الطبقة والى قبلها فان الله اذا كفر عنهم سيئاتهم وابنت طوبى
صنة كانوا كمن قبلهم اوارح قيل تقدم الكلام على هذه المسئلة بما فيه كفاية
في غير هذا الموضع فعليك بما وردت هناك وكيف يستوي عند الله
من انفق عمره في طاعة الله ولم يغفر كبيرة ومن لم يدع كبيرة الا وتكبرها
وفرط في اوامر الله تاب فهذا غاية ان تحي سيئاته وتكون لاله ولا عليه
واما ان يكون هو ومن قبله سواء اوارح منه فكل **الطبعة**
الحادية عشر خليفة اقوام خلطوا عملا صالحا واخر تينا فتملوا حسنا
وكبائر ولغو الله مصرين عليهم غير تائبين منها لكن حسناتهم اغلبت من
سيئاتهم فاذا وزنت بهار حجت كفة الحسنات فهو لا ايضا ناجون فاينرون
قال تعالى والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون
ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم بما كانوا بآياتنا يفلحون
قال صفية وعبد الله ابن مسعود وغيرهما من الصحابة بخبر الناس يوم
القيامة ثلاثة اصناف فمن رجحت حسنة على سيئة بواحدة دخل الجنة

الطبعة

الطبعة

ومن رجحت سيئاته على حسناته بواحدة دخل النار ومن استوت حسناته وسيئاته
فهو من اهل الاعراف وهذه الموازنة تكون بعد التقاصر واستيفاء النullo
مبين حقوقهم من حسناته فاذا بقي له منها وزن هو وسيئاته لكن هنا مسألة
وهي اذا وزنت السيئات بالحسنات فخرجت الحسنات على المرجوحات بجملة ويصير لا
تزال ترجح فيجاب على حسناته كلها او يسقط من الحسنات ما قابلها من الحسنات
المرجوحات ويبقى التأثير للرجحان فيجاب عليه وحده فله قولان هذا
عند من يقول بالموازنة وامام من يخفى ذلك فلا عبرة عند هذا وانما هو
موكول الى محضر الشبهة وعلى القول الاول فيذهب اثر السيئات بجملة بالحسنات
الراجحة وعلى القول الثاني يكون تأثيرها في نقصان ثوابه لا في حصولها
العقاب له ويترجح هذا القول الثاني بان السيئات لو لم تحبط ما قابلها من
الحسنات فكان العمل والتأثير للحسنات كلها لم يكن فرق بين وجودها وعدمها
ولكان لا فرق بين الحسن الذي محض علم حسنات ومن خلط علمها صاها
وقد يجاب عن هذا بانها اثر في نقصان ثوابه ولا بد فانه لو استغل في
زمنه بقاها بالحسنات لكان ارفع لدرجته واعظم لثوابه واذا كانت
كذلك فقد تخرج القول الاول بان الحسنات لما غلبت السيئات ضعف
تأثير المغلوب المرجوح وصار الحكم للغالب دونته لاستهلاكه في جنبه كما
سئل كسير النجاسة في الماء الكثير والماء اذا بلغ قلبي لم يحل الخبث وانه
اعلم **الطبعة الثانية عشر** قوم ساوت حسناتهم وسيئاتهم فتقابل
اثرهما فتقافوا فماتت حسناتهم المساوية من دخول النار وسيئاتهم المساوية
من دخول الجنة فهو لا وهم اصحاب الاعراف لم يفضل احد منهم حسنة بحق
بها الرتبة من ربه ولم يفضل عليه سيئة رخص بها العذاب وقد وصفوا له اهل

هذه الطبقة في سورة الاعراف بعد ان ذكر دخول اهل النار النار وثلاثتهم
فيها وفي طبقة الثانية عشرهم لروايتهم ورد فيهم عليهم ثم مناداة اهل الجنة اهل النار
فقال تقافوا بينهما فيحجب وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ونادوا اصحاب
الجنة ان سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون واذا صرقت ابعثوا هم تقافوا
اصحاب قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين فقوله تقافوا بينهما فيحجب اي
بين اهل الجنة والنار فيحجب قيل هو السور الذي ضرب بينهم له باب باطنه فيه
الرحمة وظاهره من قبلة العذاب باطنه الذي على المؤمنين فيه الرحمة وظاهره
الذي على الكفار من جهة العذاب والاعراف جمع عرف وهو المكان المرتفع
وهو سور رجال بين الجنة والنار قيل هو هذا السور الذي يضرب بينهم
وقيل جبال بين الجنة والنار عليهم اهل الاعراف قال حذيفة وعبد الله بن عباس
هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة ونجا وزيت
بهم حسناتهم عن النار فقفوا هناك حتى يقضي الله فيهم ما يشاء ثم يدخلهم الجنة
بنصر ربه قال عبد الله بن المبارك انا ابو بكر الفهري قال كان سعيد ابن
جبر يتحدث عن ابن مسعود قال يحاسب الناس يوم القيمة فمن كانت حسناته
اكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة ومن كانت سيئاته اكثر من حسناته بواحدة
دخل النار ثم قرأ قوله تقافوا فماتت موازينهم فاولئك هم المفلحون ومن خفت
موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم ثم قال ان الميزان يخفى بمقال ذرة او
برج قال ومن استوت حسناته وسيئاته كان من اصحاب الاعراف فوقفوا
على الصراط ثم عرفوا اهل الجنة واهل النار فاذا نظروا الى الجنة نادوا سلام
عليكم واذا صرخوا ابعثوا هم الى اصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم
الظالمين فاما اصحاب الحسنات فانهم يعطون نورا يسوقون به بين ايديهم

النار

وبما انهم يعطونهم نوراً فاذا اتوا على الصراط سلب الله نور كل منافق ومنافقة فلما رأى اهل الجنة ما اتى المنافقون قالوا ربنا انهم لنا نورنا واما اصحاب الاعراف فان النور لم يترس من ايديهم ومنعتهم سيئاتهم ان يمشوا في قلوبهم الطمع اذ لم يترس النور من ايديهم يقول الله تعالى لم يدخلوها ولا يطمعون فكان الطمع للنور الذي في ايديهم ثم ادخلوا الجنة فكانوا اخر اهل الجنة دخولاً لا يريد اخر اهل الجنة دخولاً ممن لم يدخل النار وقيل هم قوم خرجوا في الغزو وغير اذن ابايهم فقتلوا فاعتقلوا من النار يقتلهم في سبيل الله وجسوا عن الجنة لمعصية ابايهم وهذا من جنس القول الاول وقيل هم قوم رضي عنهم احد الانبياء دون الاخر فيسبون على الاعراف حتى يقضي الله بين الناس ثم يدخلهم الجنة وهو من جنس ما قبله فلا منافق في هذا وقيل هم اصحاب الفترة واطفال المشركين وقيل هم اولوا الفضل من المؤمنين علواً على الاعراف فيطلعون على اهل النار واهل الجنة جميعاً وقيل هم ملائكة لا من بني ادم والثابت عن الصحابة هو القول الاول وقد رويت فيه آثار كثيرة مرفوعة لا تكاد تثبت اسانيدها واثار الصحابة في ذلك المعتبر وقد اختلف في تفسير الصحابي هل هو حاكم الرفوع او الموقوف على قولين والاول اختيار ابي عبد الله الحاكم والثاني هو الصواب ولا نقول لسؤال الله صلى الله عليه وسلم ما لم يعلم انه قاله وقوله على الاعراف رجال يعرفون صدريج في انهم من بني ادم ليسوا من الملائكة وقوله يعرفون كلا سيماهم يعني يعرفون الفريقين سيماهم ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم اي نادوا اهل الاعراف اهل الجنة بالسلام وقوله لم يدخلوها وهم يطمعون الضمير ان في الجنة لا يصحب الاعراف

لم يدخلوها

لم يدخلوها الجنة بعد وهم يطمعون في دخولها قال ابو العباس ما جعل الله ذلك الطمع فيهم الا كرامة يريد بها انهم قال الحسن الذي جعل الطمع في قلوبهم بوصفهم لما يطمعون وفي هذا مرد على قول من قال انهم افاضوا المومنين علواً على الاعراف يطالعون احوال الفريقين فعاد الصواب الى تفسير الصحابة وهم اعلم الامة بكتاب الله و مراده منه ثم قال تعالى واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين هذا دليل على انهم يمكن مرتفع بين الجنة والنار فاذا اشرقوا على اهل الجنة نادواهم بالسلام وطمعوا في الدخول اليها فاذا اشرقوا على اهل النار سألوا الله ان لا يجعلهم معهم ثم قال تعالى نادى اصحاب الاعراف رجال لا يعرفونكم بسيماهم يعني من الكفار الذين في النار فقالوا لهم ما اغنى عنكم جعلكم وما كنتم تستكبرون يعني ما منعكم جعلكم وعشيرتكم وخزنتكم على اهل الحق ولا استكباركم وهذا امانتي واما استغفارهم توجب وهو بلغ وانتم نظروا الى الجنة فراوا من فيها من الضعفاء الذين كان الكفار يستردونهم في الدنيا وينعون ان الله لا يختصهم دونهم بفضلهم كما يختصهم دونهم في الدنيا فيقول لهم اهل الاعراف اهل الجنة الذين افسدتم بها الشركون ان الله لا ياتاكم برحمة فهاكم في الجنة يتمتعون ويتعمون وفي رياضها يجبرون ثم يقال لاهل الاعراف ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تخزنون وقيل ان اصحاب الاعراف اذا عيروا الكفار واخبروهم انهم لم ينفوني عنهم جوعاً وهم واستكبارهم للكفار تخلذهم عن الجنة واسموا ان الله لا ياتاكم برحمة لما راوا من تخلذهم عن الجنة وانهم يصيرون الى النار فتقول لهم الملائكة حسنة اهل الجنة الذين افسدتم بها الله برحمته ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تخزنون والقولان محتملان والله اعلم فهو لا

لم يدخلوها

هو اهل الجنة الذين لم يمسهم النار **الطبقة الثالثة عشر**
 طبقة اهل الجنة والبلية نعوذ باسمه وان كانت اخرتهم الى عفو وخيرهم
 قوم يكون خفت موازينهم ورجحت سيئاتهم على حسناتهم فقلبتهم السيات
 فهذه الطبقة هي التي اختلفت فيها افافا وبل الناس وكثر فيها خوضهم وتكبت
 فيها مذاهبهم وتشتت اراهم فطائفة كفرتهم واوجب لهم النار والخلود
 فيها وهذا مذهب اكثر الخوارج بل يكفرون من هو احسن حال منهم
 وهو من ترك الكبرية الذي لم يبق منها ولو استغفرها حسنة وطائفة
 اوجب لهم الخلود في النار ولم تطلق عليهم اسم الكفر بل سميت منافقين وهذا
 المذهب ينسب الى التكرية وهو اتباع بكر الكبار اخت عبد الواحد وطائفة
 نزلتهم منزلة بين منزلي الكفار والمؤمنين فجعلوا اقسام الخلق ثلاثة
 مؤمنين وكفار وقسموا المؤمنين ولا كفارا بل بينهما فوجب لهم الخلق
 في النار وهذا هو الرأي الذي اصفق عليه اهل الاعتزال وهو احد اصو
 طب الخنس التي هي قواعدهم وهي التوحيد الذي مضمونه تحيد صفا
 الخالق ونعوت بحاله والتعطيل لخص والعدل الذي مضمونه نفى قدرة
 الله وانه لا قدرة له على افعال الحيوانات بل هي خارجة عن ملكه وخلق
 وقدرته وانه يريد ما لا يكون ويكون ما لا يريد وانه لا يقدر ان
 يهدي ضالا ولا يضل هاديا ولا يملأ على المصلح مصلحا والذاكر ذاكرا
 والطائف طائفا كما اسم عن افكارهم وشركتهم على التبرير والتميز بين المتكلمين
 التي مضمونها الحجاب لخلود في النار للمسلم المبالغ في طاعة ربه الذي افنى عمره
 في عبادته وطاعته ومات مصدا على كبرية واحدة تكا اسم عما نسبوه اليه
 من ذلك وجل عن هذا الاقرا والامر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي

مضمونه

مضمونه الخروج على ائمة الجور بالسيف وخلق اليدين طاعتهم ومفارقة جماعة
 المسلمين والاصل الخامس النبوة مع انهم لم يوثقوا صحتها بل مضمونها
 غاية الهضم وجوه كثيرة ليس هذا موضعها والمتصودان مذهبهم بخليد
 هذه الطبقة في النار وان لم يسهوهم كفارا فوافقوا الخوارج في الجأ والخروج
 في الاسم وهذا تسمي هذه المسألة من مسائل الاسماء والاحكام فلهذا تلاقضت
 نوجب لهذه الطبقة الخلود في النار وقالت المرجعية على اختلاف اراهم لا يدرى
 ما يفعل الله بهم فيجوز ان يعذبهم كلهم وان يعفو عنهم كلهم وان يعذب بعضهم
 ويعفو عن بعضهم غير انهم لا يخلد احد منهم في النار فجوزوا ان يلحق بعضهم بمن
 ترجحت حسنة على سيئاته بل يجوز وان يرفع عليه في الدرجة ثم موكلون
 عندهم الى محض المسئلة لا يدرى ما يفعل الله بهم بل يرجح امرهم الى الله وحليمه وهذا
 قول كثير من المتكلمين والفقهاء والصوفية وغيرهم فهذه الاقوال التي يعرفها
 اكثر الناس ولا يخفى اهل الكلام غيرها وقول الصواب والتابعين وائمة الى ذلك
 لا يعرفونه ولا يكون وهو الذي ذكرناه عن ابن عباس وحذيفة وابن
 مسعود رضي الله عنهم ان من ترجحت سيئاته واحدة دخل النار وهو لا
 القسم الذين تجأت فيهم الاحاديث الصريحة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم بانهم يدخلون النار فيكونون فيها على مقدار اعمالهم فمنهم من تاخذ النار
 الى كبية ومنهم من تاخذ الى انصاف ساقيهم ومنهم من تاخذ الى ركبتيه ويليون
 فيها على قدر اعمالهم ثم يخرجون منها فيبشون على انهم الجنة فيفيض عليهم اهل
 الجنة من الماصي تنبت اجسادهم ثم يدخلون الجنة وهم الطبقة الذين يخرجون
 من النار بشفاعته الشافعين وهم الذين يامر الله تعالى سيد الشفعا من ان
 يخرجهم من النار بما معهم من الايمان واخبار النبي صلى الله عليه وسلم انهم يكونون

فيها على قدر ما لم يجمع قوله تعالى بما كنتم تعملون وهل تجزون الا ما كنتم
 تعملون وقوله وتوفي كل نفس بما عملت وهم لا يعقلون واضعاف ذكر من
 نصوص القرآن والسنة تدل على ما قاله افضل الامة واعلمها باسمه وكتابه
 واحكام الدارين اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم والعقل والفطرة تشهد له
 وهو مقتضى حكمة العزيز الحكيم الذي بهرت حكمته العقول فليس الاثر
 مسيا فارجع عن الضبط والحكمة بل مربوط بالاسباب والحكم مرتب عليها فكل
 ترتيب جار على نظام اقتضاه السبب واستدعته الحكمة واي طريق سلكها ساسا
 كغير هذه من الطريق المتقدمة افضت به الى ترك بعض النصوص ولا
 بد فانها تناقض في حقها لما اصله من الاصل الذي لا تلتزم عليه النصوص
 فلا بد ان يرد بعضها ببعض ويستشكلها ويطلب لها مستند الناول
 وجوه التي نفايت كما رد الخوارج والمجتزاة النصوص المتواترة الدالة على
 خروج اهل الكباير من النار بالشفاعة فكذبوا بها وقالوا لا يسيل لهم دخل
 النار الى الخروج منها بشفاعة ولا غيرها وما بهرهم نصوص الشفاعة
 وصاح بهم اهل السنة وائمة الاسلام من كل قطر وجانب ورومهم بغيرها
 الردي عليهم احوال الشفاعة على زيادة الثواب فقط لا على الخروج من النار
 فردوا السنة المتواترة قطعاً وصاروا مضغلة في افواه الامة وعارا
 في فروعها فان امر الشفاعة اظهر عند الامة من ان يقبل شك او تراعى
 وهو عندهم مثل الصراط والحساب ونحوهما فما يعلم اخبار الرسول به قطعاً
 ولكن انما في القوم لانهم في غاية البعد عن اجابة الرسول صلى الله عليه وسلم
 اجانب منه ليسوا من الورثة وما الخوارج فكذبوا بالصحة صريحاً واما
 المرجية فانهم يجوزون ان لا يدخل النار احد من اهل التوحيد وهذا

خلاف

خلاف المعلوم المتواتر من نصوص السنة بدخول بعض اهل الكباير النار ثم
 خروجهم منها بالشفاعة ومع هذا التواتر الذي لا يمكن دفعه لا يجوز ان
 يقال يجوز ان لا يدخل احد منهم النار بل لا بد من دخول بعضهم وذكر البعض
 هو الذي خفت موازينه ورجحت سياته كما قاله الصحابي رضي الله عنهم وحكي ابو
 محمد بن حزم هذا جماعاً من اهل السنة ولو كان المقصود ذكر الطبقات
 لذكرنا هذه المذاهب وما عليها وبيننا تناقض اهلها وما وافقوا فيه
 الحق وما خالفوه بالعلم والعقل لا بالجمل والظلم فان كطائفة منهم معها
 حق وباطل فالواجب موافقتهم فيما قالوه من الحق ورد ما قالوه من الباطل
 ظل ومن فتح له بهذه الطريق فقد فتح له من العلم والدين كل باب ويسر عليه
 فيها الاسباب وبالله المستعان **الطبقة الرابعة عشر**
 قوم لا طاعة لهم ولا معصية ولا كفروا لايمان وهو لاواصناف منهم من لم يبلغه الد
 عوة بحال ولا سمع لها خبر ومنهم المجنون الذي لا يعقل شيئا ولا يميز ومنهم الهلوس
 الذي لا يسمع شيئاً بل ومنهم اطفال المشركين الذين ما توافوا ان يميزوا شيئا
 الامة في حكم هذه الطبقة اختلافاً كثيراً والمسألة التي وسعوا فيها الكلام هي مسألة
 اطفال المشركين واما اطفال المسلمين فقال الامام احمد يختلف فيهم احد يعني انهم
 في الجنة وحكي ابن عبد البر عن جماعة انهم توفقوا فيهم وان جميع الولدان تحت المشيئة
 قال وذهب الى هذا القول جماعة كثيرة من اهل الفقه والحديث منهم حماد بن زيد
 وحماد بن سلمة وابو المبارك واسحق بن راهوييه قالوا وهو شبه ما رسم ما لا
 في موطنه في ابواب القدر وما ورده من الاحاديث في ذلك وعلى ذلك اكثر
 اصحابه وليس في ذلك عن شيء منصوص الا ان المتأخرين من اصحابه ذهبوا الى ان
 اطفال المسلمين في الجنة واطفال المشركين خاصة في المشيئة واما اطفال المشركين

الطبقة الخامسة

فلما سئل فيهم ثمانية مذهب **اصحا** الوقوف فيهم وترك الشهادة بانهم في الجنة
او في النار بل يوكل علمهم الى الله تعالى يقال الله اعلم بما كانوا عاملين واجتنبوا
في منها ما خرج في الصحيحين من حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ما من مولود الا يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه كما تفر
البهيمة من بريمه جمعاهل تحريفها من جدعا قالوا ليس رسول الله افريت من يوم
وهو صغير قال الله اعلم بما كانوا عاملين ومنها ما في الصحيحين ايضا عن ابن
عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن اولاد المشركين فقال الله اعلم بما كانوا
عاملين وفي صحيح ابي حاتم ابن حبان من حديث جبريل بن حازم قال سمعت
ابا رجاء العطاردي قال سمعت ابا عباس يقول وهو على المنبر قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يزال امر هذه الامة قواما او مقاربا ما يتكلموا في الولدان
والقدح قال ابو حاتم الولدان اراد به اطفال المشركين وفي استدلال هذه
الفرقة على ما ذهب اليه من الوقوف بهذه النصوص نظر فان النبي صلى الله عليه
وسلم لم يحب فيهم بالوقوف وانما وكل علم ما كانوا يعملون لوعاشوا الى الله والمعنى
الله اعلم بما كانوا عاملين لوعاشوا فهو سبيل ان يعلم القابل منهم الهدى
العامل به لوعاش والقابل منهم للكفر الموت له لوعاش ولكن لا يدل هذا
على انه يحبهم بل علمهم بلا عمل يعملونه وانما يدل على انه سبيل ان يعلم منهم ما هم
عاملون بتقدير حياتهم وهذا الجواب خرج من النبي صلى الله عليه وسلم على وجهين
احدهما جواب لم اذا سئلوا عنهم ما حكمهم فقالت الله اعلم بما كانوا عاملين
وهذا الوجه يتضمن ان الله سبيل ان يعلم من يؤمن منهم وما يكذب بتقدير الحياة
واما الى اراه على العلم فيقتضيهما جوابه صلى الله عليه وسلم وفي صحيح ابي حاتم
سفر ابي عن هلال ابن حبان عن عكرمة عن ابي عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم

في بعض

في بعض معاذير فساله رجل ما تقول في الالهيين فسكت عنه فلما فرغ من غزوة
الطائف اذا هو بصبي يجث في الارض فادى من ناديه فنادى ايها السائل عن
الالهيين قابل الرجل فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اطفال وقال الله اعلم
بما كانوا عاملين **والوجه الثاني** جواب لم حين اخبرهم انهم من ابايهم
فقالوا بلا عمل فقال الله اعلم بما كانوا عاملين كما رواه ابو داود عن عائشة رضي
الله عنها قالت قلت يا رسول الله فذاري المؤمنين فقال هم من ابايهم فقلت يا
رسول الله بلا عمل قال الله اعلم بما كانوا عاملين فقلت يا رسول الله فذاري
المشركين قال هم من ابايهم فقلت يا رسول الله بلا عمل قال الله اعلم بما كانوا
عاملين في هذا الحديث ما يدل على ان الذين يطقون بابايهم منهم هم الذين
على الله انهم لو عاشوا لا خذروا الكفر وعملوا به فهو لا ومع ابايهم ولا
يقضي ان كل واحد من الذرية مع ابيه في النار فان الكلام في هذا الجنس سؤال
وجواب والجواب يدل على التفصيل فان قول الله اعلم بما كانوا عاملين
يدل على انهم متباينون في التبعية بحسب نياتهم في معلوم الله فيهم يبقى ان
يقال فالحديث يدل على انهم يطقون بابايهم من غير عمل ولهذا اقرئت ذلك
منه عائشة فقالت بلا عمل فافرها عليه وقال الله اعلم بما كانوا عاملين وحي
عن هذا بان الحديث انما دل على انهم يطقون بهم بلا عمل عملوه في الدنيا
وهو الذي فهمت عائشة ولا ينبغي هذا ان يطقوا بهم باسباب اخبرتهم
بها في عرسات القيمة كما سياتي بيانه ان شاء الله فينبغي ان يكون بابايهم هم
ويكونون منهم بلا عمل عملوه في الدنيا وعائشة رضي الله عنها انما استشكلت
لما قرأهم بهم بلا عمل عملوه مع ابايها واجابها النبي صلى الله عليه وسلم بان الله سبيل ان
يعلم منهم ما هم عاملون ولم يقل انه يعذب بهم بحسب علمه فيهم وهذا ظاهر عند

لا اشكال فيه واما حديث ابي رجاء العطاردي عن ابي عباس في القلب من
 رفعه شيء وان خرج ابي جابر في صحبه وهو يدل على ذم من تكلم فيهم بغير علم
 او ضرب النصوص بعضها ببعض فيهم كما ذم من تكلم في القدر بمثل ذلك واما
 من تكلم فيهم بغير علم وحق فلا المذنب **الثاني** انهم في النار وهذا
 قول جماعة من المتكلمين واهل التفسير واحد الوجهين لا محاب احمد وحكا
 القاضي نساء عن احمد واحج هو لا حديث عايشة المتقدم واحتجوا بما رواه
 ابو عجيل عن ابي التوكل عن بهية عن عايشة سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم
 عن اولاد المسلمين اين هم قال في الجنة وسالت عن اولاد المشركين اين هم يوم
 القيمة قال في النار فقلت لم يدركوا الاعمال ولم يجز عليهم الاسلام قال ركب
 العلم بما كانوا عاملين قلت نعم ابي التوكل لا يجزى حديثه فانه في غاية من
 الضعف واما حديث عايشة المتقدم فهو من حديث عمر بن ذر وقد روي عن
 يزيد بن ابي امية ان البراء بن عازب ارسل الى عايشة يسالها عن الاطفال
 فذكرت الحديث هكذا قال سالم بن قتيبة عنه وقال غيره عن عمر بن ذر عن
 يزيد بن رجل عن البراء رواه الامام احمد في مسنده من حديث عتبة ابن
 حمزة ابن حبيب حديثي عبد الله بن ابي قيس مولى عتيق انه سأل عايشة قد ذكر
 الحديث وعبد الله بن قيس في حاله وليس بالشهور واحتجوا بما رواه عبد
 الله بن احمد في مسنده ابي سعيد بن عثمان بن ابي شيبة عن محمد بن ابي فضيل بن غزوان
 عن محمد بن ابي عثمان عن زاذان عن علي قال سالت خديجة رسول الله صلى
 الله عليه وسلم عن ولد من لها ما نافي الى اهل الجنة قال هي في النار فلما ذكر اهل الجنة
 في وجهها قال لو رايت مكانهما لا بغضتني لهما قالت يا رسول الله فاولدي منك
 قال ابن المومنين واولادهم في الجنة وان المشركين واولادهم في النار ثم قرأ

ولم يجز عليهم الاسلام

والذين

والذين امنوا واتبعهم ذريتهم بايمان وهذا معلول من وجهين احدهما ان محمد
 ابن عثمان مجرول الثاني ان زاذان لم يدرك عليا وقال جماعة عن عبد الله بن
 هند عن الشعبي عن علقمة بن سلمة بن قيس لا تجزى قال ايها النبي صلى
 الله عليه وسلم فقلت ان امننا ماتت في اهل الجنة وكانت تقري الضيف
 لنا في اهل الجنة لم يبلغوا الجنة فقال الواثقة والموقوفة في
 النار لان يدركوا الواثقة الاسلام فسلم وهذا اسناد لا بأس به واحتجوا
 ايضا حديث خديجة انها سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اولادها الذين
 ماتوا في الشرك فقال لان شئت لاستشهد نساء عنهم في النار قال شيخنا هذا
 حديث باطل موضوع واحتجوا بما روي البخاري في صحيحه من حديث ابي
 الحنة والنار عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال واما النار فينشق الله لها خلقا
 يسكنهم اياها قالوا فلهذا ينشقون للنار بغير عمل فلان يدركها من ولد
 في الدنيا بين كافرين اولي وهذه حجة باطلة فان هذه اللفظة وقعت غلطا
 من بعض الرواة وبنيها البخاري رحمه الله في الحديث الاخر وهو الصحيح
 فقال في صحيحه حديثي عبد الله بن محمد بن عبد الله بن ابي حمزة عن حماد
 عن ابي هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ماتت الجنة والنار فقالت النار
 او ثرت بالتكبيرين والمثربين وقالت الجنة مالي لا يدخلني الا ضعفا الناس
 وسقطهم قال الله عز وجل الجنة انت رحمتي ارحم بك من اسألت عبادي وقال
 النار انت عذابي احذ بك من اسألت عبادي وكل واحد منهما ملو لها
 فاما النار فلا تمتلي حتى يضع رجله فتقول قط فلهذا لا تمتلي وينوي بعضها
 البعض ولا يظلم الله من خلقه احدا واما الجنة فينشق الله لها خلقا فهذا هو
 الذي قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم بلاريب وهو الذي ذكره في التفسير

وقال في باب ما جاء في قول الله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين ما عباد الله ابدا
 سعد بن يعقوب بن سفيان عن صالح بن ابي كيسان عن الاعرج عن ابي هريرة عن
 النبي صلى الله عليه وسلم قال اختصمت الجنة والنار الى ربهما فقالت الجنة يا رب ما لها
 لا يدخلها الا ضيفا لنا وسقطهم وقالت النار الى ربها فقالت الجنة انت دعتي وقال
 للنار انت عذابي احذ بك من اشياؤكم واحذوا مني بشيئنا فليقول فيها فتقول
 فان الله تعالى لا يظلم من خلقه احدا وان يفتي للنار من يشا فليقول فيها فتقول
 هل من مزيد ويلقون فيها فتقول هل من مزيد ثلاثا حتى يضع قدمه فيها
 فتسلي ويرد بعضها الى بعض وتقول قط ففهم غير محفوظ وهو ما انقلب
 لنظم على بعض الروايات انقلب على بعضهم قوله صلى الله عليه وسلم ان بلا لا يؤذن
 بليل فظكوا واشربوا حتى يؤذن ابن مكثوم فقال ان ابن ام مكثوم يؤذن
 بليل فظكوا واشربوا حتى يؤذن بلال ولم يظاير حديث الاعرج عن ابي
 هريرة هذا لم يحفظ كما ينبغي وسياقه يدل على ان رواه لم يعم منه بخلاف حديث
 همام عن ابي هريرة واصحوا بما رواه ابو داود عن عامر الشعبي قال قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم والمودة في النار قال يحيى بن زكريا
 في حديثي ابواحق السبيعي ان عامرا حمله بنده عن علي بن مسعود
 عن النبي صلى الله عليه وسلم وسياق الجواب عن هذا الحديث ان شاء الله تعالى
والمذهب الثالث انهم في الجنة وهذا قول طائفة من
 المفسرين والمتكلمين وغيرهم واحده هو لا يماروا النبي اري في صحيحه عن
 ابن جندب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني مما يكثر ان يقول للصحابة
 هل راي احد منكم روبا قال فيقص عليهم من شأان يقص وانه قال لنا ذات غداة
 انه اتاني الليلة اتيان فذكر لي ريبك وفيه فاني على روضة معتمه فيها من

كل لون الربيع واذا بين ظهراني الروضة رجل طويل لا اكاد ارا راسه طولا
 في السما واذا حوالا الراس اكثر ولدان رايتهم قط وفيه واما الولدان الذين الذين
 حوله فكل مولود مات على الفطرة فقال المسلمون يا رسول الله واولاد المشركين
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم واولاد المشركين فهذا الى ربهم الله ارجح صريح
 في انهم في الجنة وروى الانبياء في وفي مستخرج البرقاني عن النبي اري من حديث
 عوف الاعرجي عن ابي رجاء العطاردي عن سمرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
 كل مولود يولد على الفطرة فقال الناس يا رسول الله واولاد المشركين قال واولاد
 لاد المشركين قال ابو بكر بن محمد بن القطيعي ما يوشن ابن موسى بن هوية
 ابن خليفة ما عوف عن خنساء بنت معاوية قالت حدثني عمي قلت يا رسول
 الله من في الجنة قال النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة والشهداء في الجنة والمولود في
 الجنة والمودة في الجنة وكذلك رواه بنده عن سمرة عن عوف واصحوا
 بقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وهو لا لم تعلم عليهم حجة الله
 بالرسول فلا يعذبهم واحده في بقوله رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون
 للناس على الله حجة بعد البعث واصحوا بقوله تعالى وما كان ربك ليهلك العز
 حتى يبعث في امهم رسولا يتلو عليهم اياتنا وما كنا مهلكي القران الا واهلها
 ظالمون فاذا كان سبحانه لا يهلك القران في الدنيا ويعذب اهلها الا بظلمهم
 فكيف يعذب في الاخرة العذاب الذي من لم يصدر منه ظلم ولا يقال
 كما هلكه في الدنيا تبعا لابيويه وغيرهم قلنا لا يدخله النار تبعا لهم لان
 مصابب الدنيا اذا وردت لا يختص الظالم وحده بل يصيب الظالم وغيره
 ويعتقون على نياتهم واعمالهم كما قال تعالى وتفاوتت في نصيبين الذين
 ظلموا منكم خاصة وكان جيش الذي يخشونهم جميعهم وفيهم المملوك

والمستبصر وغيره فاما عذاب الآخرة فلا يكون الا للظالمين خاصة ولا
يشترط فيهم من لا ذنب له اصلا قال تعالى النار كلما انشأ في فيها فوج
سألهم فيها خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء وقال تعالى
لا تبصرون ولا تبصرون جهنم منكروا ومن يتبعك منهم اجمعين واذا امثال يار
بابليس واتباعه فابا يستقر فيها من لم يتبعه قالوا وايضا قال القرآن عملوا
من الاخبار بان دخول النار انما يكون بالاعمال لقوله هل تجزون الا ما
كنتم تعملون وقوله ووجدوا ما عملوا حاصدا ولا يظلم ربك احد وقوله
وانفقوا يوم ما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون
وقوله وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون الى غير ذلك من النصوص
قالوا وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان كل مولود يولد على الفطرة وانما هو
ده وبنصره ابو اده فاذا قبل التهود والتبصير مات على الفطرة فكيف يطق
النار وفي صحيح مسلم من حديث عياض بن حماد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
يقول الله تعالى اني خلقت عبادي حنفا في انهم الشياطين فاجتالهم عن دينهم
وحرمت عليهم ما احللت لهم وقال عياض بن حماد عن ثور بن زيد عن عبي
بن جابر عن عبد الرحمن بن عازب عن عياض عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
ان الله خلق ادم وبنه حنفا مسلمين واعطاهم المال حلالا لا لاحراما
مسلمين قالوا وايضا قال النار دار عدل لها الجنة دار فضل
فهذا ينشئ الجنة من لم يعمل عملا قط وما النار فانه لا يعذب بها الا من
عمل بعمل اهلها قالوا وايضا قال النار دار جزاء لمن لم يعص طرفة عين كيف كان
بالنار فالداخلون ابدالا بادل قالوا ولو عذب هؤلاء لكان تعذيبهم اما
مع تكليفهم بالايمان او بدون التكليف والقسمان متمنعان اما الاول

فلا تنال

فلا تنال التكليف من لا تميز له ولا عقل اصلا واما الثاني فتمنع ايضا
التي ذكرناها وامثالها من ان الله لا يعذب احدا الا بعد اقامة الحجج عليه
قالوا وايضا فلو كان تعذيب هؤلاء لاجل عدم الايمان المانع من العذاب
لا يشتركون واطفال المسلمين في ذلك لا يشتركون في عدم الايمان الفاعل علما
وعلا فان قلتم اطفال المسلمين منعهم بتعميم لا يابا من العذاب بخلاف
اطفال المشركين قلنا الله تعالى لا يعذب احدا بدينه غير ان قالوا لا تنال
وانزلة ونزرا اخرى وقال قال يوم لا تطعم نفس شيئا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون
وهذا لا يأتى قوة وكثرة ولا سبيل الادفعتها وسياتي ان شاء الله فصل
النزل على المسألة والقول بموجب الصحيح في كل ما على عادتنا في مسائل
الدين كلها دفتها وجلها ان نقول بموجبها ولا نعذب بعضها ببعض ولا نعذب
بعضها على طائفة على طائفة بل نوافق كل طائفة على ما معها من الحق ونخالفها
فيما معها من خلاف الحق لا نستشي من ذلك طائفة ولا مقال ونرجو ان الله ان
نحيا على ذلك ونعوت عليه ونلقى الله به ولا قوة الا بالله المذهب
الرابع انهم في منزلة بين المنزلتين بين الجنة والنار فانهم ليس لهم ايمان
يدخلون به الجنة ولا لا يابا لهم فونزحهم اطفالهم تكبيل لشواهم وزيادة
في نعيمهم وليس لهم من الاعمال ما يستحقون به دخول النار وهذا قول طائفة
من المفسرين قالوا وهم اهل الاعراف وقال عبد العزيز بن أبي السلف فيهم
الذين ماتوا في الفترة والفايلون بهذا ان ارادوا ان هذا المنزلة مستقرهم
ابدافا بطل فانه لا دار للقرار الا الجنة والنار وانهم يكونون فيه مدة
ثم يصيرون الى دار القرار فهذا ليس بمذهب المذهب **الخامس**
انهم تحت مشيئة الله يجوز ان يعذبهم بعذابه وان يعجزهم برحمته وان يرحم بعضا

لنصوص

الجنة

الى ص

ويجذب بعضا بحضرة الارادة والمشيئة ولا سبيل الى اتيان شيء من هذه الاقسام
الاخبار يجب المصير اليه ولا حكم فيهم الا لحضرة المشيئة وهذا قول الجبرية نفاة
الحكمة والتعليل وقول كثير من مشيئة القدم وغيرهم المذهب
السادس انهم خدم اهل الجنة ومما تليكم وهم معهم بمنزلة ارقائهم ومما
ليكم في الدنيا واجد هو لا يما رواه يعقوب ابن عبد الرحمن القاري عن
ابي حازم المدني عن يزيد الرقاسي عن انس قال الدارقطني ورواه عبد الله
الما جئون عن ابن المنذر عن يزيد الرقاسي عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال سالت ربي اللاهين من ذرية البشر ان لا يعذبهم فاعطاهم فهو خدم
اهل الجنة يعني الصبيان فهذه طريقان وله طريق ثالث عن فضيل ابن
سليمان عن عبد الرحمن ابن اسحق عن الزهري عن انس قال ابن قتيبة اللا
هون من لاهيت عن النبي اذا عدلت عنه وليس هو من لهوت وهذه
الطرق ضعيفة فان يزيد الرقاسي واه وفضيل ابن سليمان متكلم فيه وعبد
الرحمن ابن اسحق ضعيفي المذهب **السابع** ان حكمهم حكم ابايهم في الدنيا
والآخرة فلا يفرقون عنهم بحكم في الدارين فكلهم منهم في الدنيا فهم منهم
في الآخرة والفرق بين هذا وبين من يقول في النار ان صاحب هذا
هو المذهب يجعلهم معهم تبعاً لهم حتى لو اسلم الابوان بعد موت اطفالهما
ليحكم لا فرطهما بالنار وصاحب هذا القول لا يقول في النار لكنهم
ليسوا مسلمين ولم يدخلوها تبعاً وهو لا يجوز بحديث عائشة الذي
تقدم ذكره واصحوا بما في الصحيحين عن الضعيف ابن جثامة قال سئل
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اهل الدارين المشركين يبيتون فيصيبون
من نسايتهم وذرائعهم فقال هم منهم ومثلهم ما حديث الاسود ابن سريج

وقد تقدم

وقد تقدم حديث ابي وايل عن ابن مسعود ريفعه الوايدة والمودة
في النار وهذا يدل على انها انما كانت في النار تبعاً لها قالوا ويدل عليه قوله
تعالى والذين امنوا واتبعهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم وما اتناهم من
علمهم من علمهم شيء كل امر بما كسب رهين فهذا يدل على ان اتباع الذرية لا با
يهم وحياتهم انما كان اكراماً لا بايهم وحيوة وزيادة في ثوابهم وان الاثام
انما اسقط بايمان اربابها واذا اشق ايمان الابا انتفى اتباع النجاة وبقي اتباع
العذاب ويفسر قوله صلى الله عليه وسلم هم منهم واجيب عن حجج هؤلاء
اما حديث عائشة الذي فيه انهم في النار فقد تقدم ضعفه واما حديث
الآخرهم من ابايهم فمثل حديث الضعيف والاسود ابن سريج ليس فيه تعرض
للعذاب بنبي او اثبات لا اثبات وانما فيه انهم تبع لا بايهم في الحكم وانهم اذا
اصيبوا في الجهاد والبيات لم يضمنوا بديهة ولا كفارة وهذا مخرج به في
حديث الضعيف والاسود انه في الجهاد واما حديث عائشة الاخر فضعفه
غير واحد قالوا وعبد الله ابن ابي قيس مولى غطفان رواه عنها ليس بالمعروف
فيقول حديثه وعلى تقدير ثبوته فليس فيه تصريح بان المال وقع عن الثواب
والعقاب والنبي صلى الله عليه وسلم قال هم من ابايهم ولم يقل هم معهم وقرى بين الطرفين
وكونه منهم لا يقتضي ان يكونوا معهم في احكام الآخرة بخلاف كونهم منهم فانه
يقتضي ان تثبت لهم احكام الدارين من الثواب والخصاثة والنسب وغير
ذلك من احكام الابا والله تعالى يخرج الطيب من الخبيث والمومن من الكافر
واما حديث ابن مسعود فليس فيه ان هذا حكم كل واحد من اطفال المشركين
وانما يدل على ان بعض اطفالهم في النار وان من هذا الجنس وهن المود
دان من يدخل النار وكونهما موقوفة لا يمنع من دخولها النار بسبب اخر



رب لقد جاء الاسلام وانما اسمع شيئا وما الا الحق فيقول رب لقد جاء الاسلام
والصبيان يذفون في البحر واما اللهم فيقول رب لقد جاء الاسلام وما
اعقل واما الذي مات في الفترة فيقول رب ما انا في رسول فياخذ موثيقهم
ليطعنهم فيرسل اليهم رسول ان ادخلوا النار فوالذي نفسي بيده لو دخلوها
لكانت عليهم برد او سلا ما قال معاذ وحدثني ابي عن قتادة عن الحسن عن ابي
رافع عن ابي هريرة عن هذا الحديث وقال في اخره من دخلها كانت عليه نار
وسلاما ومن لم يدخلها ردت اليها وفي مسند احمد عن معاذ بن هشام ايضا
ورواه البزار ولفظه عن الاسود بن سريع عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بعث
علي الله تبارك وتعالى الراسم الذي لا يسمع شيئا ولا يرى ولا يسمع ولا يرى
في الفترة فيقول لا سمع رب جاء الاسلام وما اسمع شيئا ويقول لا ارى رب جاء
الاسلام وما اعقل شيئا ويقول الذي مات في الفترة رب ما انا في ذلك من رسول
وذكر اللهم وما يقول قال فياخذ موثيقهم ليطعنهم فيرسل اليهم تبارك وتعالى
ادخلوا النار فوالذي نفسي بيده لو دخلوها لكانت عليهم برد او سلا ما
قال الحافظ عبد الحق في حديث الاسود قد جاء هذا الحديث وهو صحيح فيها
اعلم والاشرة ليست دار تطبيق ولا عمل ولكن اسم يخص من شاء بما شاء ويطلق
من شاء ما شاء وحيث ما شاء لا يسأل عما يفعل وهم يعلمون **قلت** وسأ
على وقوع التطبيق في الدار الاخرة او امتناعه عن قرب ان شاء الله ورواه
علي بن ابي بصير عن معاذ بن جهم قال البیهقي ما يروي عن ابي بصير عن ابي
جعفر الوراء عن ابي بصير عن الحسين بن علي بن عبد الله وقال هذا اسناد صحيح
واما حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال فرموا به معمر بن عبد الله بن
طاوس عن ابي بصير عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فرموا به معمر بن عبد الله

ابن طاوس عن ابي بصير عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فرموا به معمر بن عبد الله بن
قال ساجد بن عبد الرحمن واقطعت في ما يروى عن ابي بصير عن النبي صلى الله عليه وسلم فرموا به معمر بن عبد الله بن
عن معاذ بن جهم عن ابي بصير عن النبي صلى الله عليه وسلم فرموا به معمر بن عبد الله بن
لقد صغيرا فيقول المسموع عقلا يا رب لو ايتني عقلا ما كان من ايتني عقلا
باسعد مني فيقول لها لذي الفترة يا رب لو انا في منك عهد ما كان من انا
منك عهد باسعد بعهدي مني ويقول المولود صغيرا يا رب لو ايتني عرا ما
كان من ايتني عرا باسعد مني فيقول الرب سبحانه لئن امرتك بامر لتطيعوني فيقول
لئن نزع وعزتك فيقول اذهبوا فادخلوا النار فلو دخلوها ما ضركم قال
فيخرج قوايسر لحسانها فداهلك ما خلق الله من شيء فيا مرهم ثانية فيرجعون
كذلك ويقولون مثل قولهم فيقول الله سبحانه قبل ان تخلقوا علمت ما انتم عاملون
وعلى خلقكم والى علمي تصيرون فناخذهم النار فهدا وان كان عمر ابن واقد
لا يجزئ به فله اصل وشواهد والاصول تشهد له وفي الباب احاديث غير هذا
وقد ثبت احاديث الامتنان في الاخرة من حديث الاسود بن سريع وصححه
الحق والبيهقي من حديث ابي هريرة وانشروا معاذ وابي سعيد فاما حديث الاسود
فرواه معاذ بن هشام عن ابي بصير عن قتادة عن الاسود بن قيس عن الاسود
ابن سريع ان النبي صلى الله عليه وسلم قال واما حديث معاذ
قتادة عن الحسن بن ابي رافع عن ابي هريرة رواه احمد واسحق عن معاذ ورواه
جماد بن سلمة عن ابي زيد بن جهم عن ابي رافع عن ابي هريرة ورواه معمر
عن ابن طاوس عن ابي بصير عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فرموا به معمر بن عبد الله بن
ان سلا طريقا ليرجع الزايد لزيادته فواضروا ان سلا طريقا للمعاوضة فعا
بها تحقيق الوقوف ومثل هذا لا يقدم عليه بالري اذ لا مجال له فيقبل بحرم

فان هذا توقيف من الراي واما حديث انس فرواه جبريل بن عبد الحميد
 عن ليث بن ابي سليم عن عبد الوارث عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم يوم
 يوم القيمة باربعة بالمولود وبالمعتوه وبمن مات في الفترة وبالشجر الثاني
 كلهم يكلم بحجة فيقول الرب سبحي انه لعنق من جهنم ابرزني ويقول لي اني كنت
 ابغض الي عبادي رسولاً من انفسهم واني رسول نفسي اليكم ويقول لهم ادخلوا
 هذه ويقول من كتب عليهم الثاني ان دخلوها ومنها كنا نعبر وما من كتب له العا
 دة فيمضي فيقول الله فانه لم يسل شيئا فكلما ينفذ حوله الى الجنة وهو
 لا الى النار وهذا وان لم يعتمد عليه بحجة لما كان ليث بن ابي سليم وتضعيف
 الدارقطني لعبد الوارث فهو مما يعتضد به وقال البيهقي في كتابه عن عبد الله بن ابي
 انا ابو العباس ان الله لما شيع حديثي شيان عن عبد الله بن ابي
 عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم واما حديث معاذ فتقدم الكلام عليه واما حديث
 سعيد فرواه محمد بن ابي يحيى الذي رواه عن سعيد بن سليمان عن فضيل بن مزروق
 عن عطية عن ابي يحيى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الهالك
 في الفترة رب لم ياتي ويقول المعتوه رب لم تجعل لي عقلاً اميز به خيراً ولا شر
 ويقول المولود رب لم ادرك العقل فتفرغ لهم نار فيقول لردوها فتردها
 من كان في علم الله سعيد لو ادرك العقل ويسعد عنها من كان في علم الله شقياً
 لو ادرك العقل فيقول اياي عصية فكيف لو رسلني انك نابعه الحسن بن موسى
 عن ورواه ابو نعيم عن فضيل بن مزروق فوقفه فهذا وان كان في علم
 فهو يعتبر بحديثه ويستشهد به وان لم يكن حجة واما الوقف فقد تقدم
 نظيره في حديث ابي هريرة فهذه الاحاديث يشهد بعضها بعضاً ويشهد بعضها
 اصول الشرع وقواعده والقول بمضمونها هو مذهب السلف والسنة

في الفترة

نقله عنهم الا شعري رحمه الله في كتاب المقالات وغيره فان قيل قد اختلف
 عبد البر هذه الاحاديث وقال اهل العلم ينكرون احاديث هذا الباب لان
 الاثر ليس دار عمل ولا ابتلاء فكيف يكفون النار دخول النار وليس
 ذكر في وسع الخلق قين والله لا يكلف نفس الا وسعها فاجاب من وجوه
 احدها ان اهل العلم يتفقوا على انكارها بل ولا الشرح وان انكرها بعضهم
 فقد صح غير بعضها كما تقدم الثاني ان ابا الحسن الاشعري حكى هذا حديث
 المذهب عن اهل السنة والجماعة قد اختلفوا في انهم ذهبوا الى وجوب هذه
 احاديث الثالث ان اسناد حديث الاسود اجود من كثير من الاحاديث
 التي تجزئها في الاحكام ولهذا رواه الامامة احمد بن حنبل في مسنده في الحديث الذي
 بعث الله قريظة جماعة من الائمة على وقوع الامتنان في الدار الاخرة وقالوا
 لا ينقطع التكليف الا بدخول الدار الاخرة وذكره البيهقي عن غير واحد من
 السلف الى انهم ما ثبت في الصحيح من حديث ابي هريرة واني سعيد
 في الرجل الذي هو اهل الجنة ودخلها ان الله تعالى اخذ عهده ومو
 ثقه ان لا يسأله غير الذي يعطيه وانما على الله وبالله غيره فيقول الله عز وجل
 ما عندك وهذا الغدير منه هو على آفة العهد الذي عاهد به عليه
 السادس قوله وليس ذكر في وسع الخلق قين جوابه من وجهين احدهما
 ان ذلك ليس تكليفاً بل هو في الوسع وانما هو تكليف بما فيه مشقة شديدة وهو
 تكليف بني اسرائيل قتل اولادهم وازواجهم وابائهم حين عبدهم والجل وكثرت
 المؤمنين اذا رآوا الدجال ومعه مثال الجنة والنار ان يقولوا في الذي يرونه
 ناراً الثاني انهم لو اطاعوه ودخلوها لم تضركم وكانت سعة وسلا ما
 فلم يكفوا بتمتع ولا بما يشق السابع انه قد ثبت ان سبى انه باسهم في

القيامه بالسجود وجول بين المنافقين وبينه وهذا تكليف بما ليس في السجود
قطعا فكيف ينكر التكليف بدخول النار في رأي العين اذا كان سببا للثبوت كما
جعل قطع الصراط الذي هو ادق من الشعرة واحدا من السيوف سببا للثبوت
كما قال ابو سعيد الخدري بلغني انه ادق من الشعرة واحدا من السيوف وانه لم
يركوب هذا الصراط الذي هو في غاية الدقة وغاية الشدة كما لا يدخل
النار ولهذا كراهي يفضي منه الى الجنة والله اعلم **الثامن** ان هذا استبعاد
استبعاد مجرد لا يرد الا حاديا بمطعم والناس كلهم طريقان فمن سلك طريقا
تعلق التكليف بحجج الشبهة لم يمكن استبعاد هذا التكليف ومن سلك طريق
الحكمة والتعليل لم يكن معه حجة تنفي ان يكون هذا التكليف موافقا للحكمة
بل الادلة الشرعية تدل على انه مقتضى الحكمة كما ذكرناه **التاسع** ان في
اصح هذا الاحاديث وهو حديث الاسود انهم يعطون ربهم الموائيق
ليطيعنه فيما يامرهم به فيا مريم ان يدخلوا نار الامني ان فيركوا الدخول
معصية لا مرم لا يخرج عنه فكيف يقال انه ليس في الموصوعان قبل فالأخر
دار جزا وليست دار تكليف فكيف يحتمل في غير دار التكليف فاجوب
ان التكليف انما ينقطع بدخول دار القرار واما في البرزخ وعرضات
القيامه فلا ينقطع وهذا معلوم بالضرورة في البرزخ من وقوع التكليف
على آلة الملكين في البرزخ وهي تكليف واما في عرضات القيمة فقد قال
تقايوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون فهذا
صريح في ان الله تعالى يدعو الخبيث الى السجود ويوم القيمة وان الكفار يحال
بينهم وبين السجود اذ ذاك ويكون هذا التكليف بما لا يطاق حينئذ حسنا
عقوبة لهم لانهم كفوا في الدنيا وهم يطيقونه فيما اشعوا منه وهو مقدور

لم كفوا وهم لا يقدرون عليه حسرة عليهم وعقوبة لهم ولهذا قال تعالى وقد
لأنوا يدعون الى السجود وهم سالمون يعني احيى الا افة تمنهم فلما تركوه وهم
سالمون دعوا اليه في وقت حيل بينهم وبينه لما في السجود من حرج زبدين آلم
عن عطاء عن ابي سعيد ان ناسا قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا فذكر الحديث
بطوله الى ان قال فيقول اشبع كل امه ما كانت تعب فيقول المؤمنون فارقنا
الناس في الدنيا افقر ما كنا اليهم ولم نضاههم فيقول اناركم فيقولون نعم
بالله منكر لا تشرك بالله شيئا مرتين او ثلاثا حتى ان بعضهم يكاد ان يتقلب
فيقول هل بينكم وبينه راية تعرفونها فيقولون نعم فيكشف عن ساق
فلا يبقى من كان يسجد من تلقا نفسه الا اذن الله له بالسجود ولا يبقى من
كان يسجد اتقا ورأيا الا جعل الله ظهروا طبة واحدة كلما اراد ان يسجد خر على
فأه ثم يرفعون رؤسهم وذكر الحديث وهذا التكليف نظير التكليف في
البرزخ بالمسألة فمن اجاب في الدنيا طوعا واخيارا اجاب في البرزخ
ومن امتنع من الاجابة في الدنيا منع منها في البرزخ ولم يكن تكليفه في تلك
الحال وهو غير قادر فثبت ابراهم مقتضى الحكمة الالهية لانه كل وقت القدر
قاني فاذا طو وقت العجز وقد حيل بينهم وبين الفعل كان عقوبة له وحسرة والمقصود
ان التكليف لا ينقطع الا بعد دخول الجنة او النار ويحكم قد تقدم ان حديث
الاسود ابن سريج صحيح وفيه التكليف في عرضة القيمة فهو مطابق لما ذكرنا
من النصوص الشرعية الصريحة فعلم ان القرآن تدل عليه الادلة الشرعية وتنا
تلقاها النصوص وهو مقتضى الحكمة هو هذا القول والله اعلم وقد حكى بعض
اهل المقالات عن ثمانية ابن اسير انه ذهب الى ان الاطفال يصيرون
يوم القيمة ترابا وقد نقل عن ابن عباس ومجاهد بن الجوفية والثمام بن محمد

طريقه
الحق

اشتركتا

وغيرهم انهم كرهوا الكلام في هذه المسئلة بجملة **الطبعة الخامسة عشر**
 طبقة الزنادقة وهم قوم اظهروا الاسلام ومتابعة الرسول وابطنوا الكفر ومعا
 داة الله ورسوله وهو لاه المنافقون وهم في الدرك الاسفل من النار قال
 تعالى المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن نجد لهم نصيرا فالكفار الخ
 هرون بكلفهم اخوة فوفوه في دركات النار لان الطائفتين اشتركتا في الكفر
 ومعا داة الله ورسوله وزادت المنافقون عليهم بالكذب والنفاق وبلية المسلمين
 بهم اعظم من بلية الكفار الخ اهرين وهذا قال الله تعالى في حقهم هم العدو
 فاحذرهم وقيل هذا اللفظ يقتضي الخصم لا العدو والهم ولكن لم يرد
 هاهنا خصم العدو فيهم وانما لا عدو للمسلمين سواهم بل هذا من باب اثبات
 الاولوية والاصحية لهم في هذا الوصف وانما لا يتوهم بانسابهم الى المسلمين
 ظاهر ومولا لهم في حق الظاهر اياهم انهم ليسوا باعدائهم بل هم اخوة بالعداوة
 من صين بانهم في الدار وضرب هم العدو وجاهرهم بها فان ضربه هو لا الخ
 لطعن هم المعاشرين لهم في الباطن على خلاف دينهم اشهد عليهم من ضربه من
 جاهرهم بالعداوة والنم وادوم لان الحبيب مع اوليائه ساعة او اياما ثم
 ينقض ويتغيره النصرة والظفر وهو لا معهم في الدار والمنازل صباحا ومساء
 يدلون العدو على عوراتهم ويترصدون بهم الدوائر ولا يكفهم مناخرتهم
 فهم اخوة بالعداوة من المباين الخ اهر فلهم قيل هم العدو لا على معنى انه لا عدو
 لكم سواهم بل على معنى انهم اخوة بان يكونوا لكم عدوا من الكفار الخ اهرين
 ونظير ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم ليس المسكين بهذا الطواف الذي تروونه القنعة
 واللقنان والتمرة والتمر ثان ولكن المسكين الذي لا يسال الناس ولا يفتن
 فيصدق عليه هذا نفي لاسم المسكين عن الطواف بل اخبار بان هذا

الفان

الفان الذي لا يسمونه مسكينا احق بهذا الاسم من الطواف الذي يسمونه
 مسكينا ونظيره قوله ليس الشريد بالصعيد ولكن الشريد الذي يملك نفسه عند
 الغضب ليس نفي لاسم عن الصبر ولكن اخبار بان من يملك نفسه عند الغضب
 احق منه بهذا الاسم ونظيره قوله ما تعدون المفلس فيكم قالوا من لا درهم
 له ولا متاع قال المفلس من يأتي يوم القيامة بحسنات امثال الحبال وبقي وقته
 لطم هذا وضرب هذا واخذ مال هذا فيقتصر هذا من حسنة وهذا من حسنة
 فان فئت حسنة قبل ان يفض ما عليه اخذ من سيئاتهم ثم طرح عليه قال في
 النار ونظيره قوله ما تعدون الرقوب فيكم قالوا من لا مول له قال الرقوب
 من لم يقدم من ولد شيئا ومنه عندي قوله صلى الله عليه وسلم الذي في النسب
 هو اثبات ان هذا النوع احق باسم الراب من ربا الفضل وليس فيه نفي اسم الراب
 عن ربا الفضل فنام له والمقصود ان هذه الطبقة اشقى الاشقياء وهذا يستلزم
 بهم في الاخرة ويعطون نوراً يتوسلون به على الصراط ثم ينفق الله نورهم
 ويقال لهم ارجعوا وراكم فالتمسوا نوراً ويضرب بينهم وبين المؤمنين فجور له
 باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب شاؤوا لم يكن معكم قالوا
 بلى ولكنكم فتنتم انفسكم وتربصتم وعلم انتم انما في صحتي جاء امر الله
 وغركم بالغرور وهذا اشهد ما يكون من الحسرة والبلاء ان يفتي للعبد
 طريق النجاة والخلاص حتى اذا ظن انه ناج ورا مناذل السعدا اقتطع عنهم
 وضربت عليهم الشقوة نعوذ بالله من غضبه وعقابه وانما كانت هذه الطبقة
 في الدرك الاسفل من النار لغلظ كفرهم فانهم خالطوا المسلمين وعاشروهم
 وباشروا من اعلام الرسالة وشوا هذا لايمان ما لم يباشروا البعدا اذ وصل اليهم
 من معرفته وصحته ما لم يصل الي المنابذين بالعداوة فاذا كفر وامع هذه المعرفة

والعمل كانوا غلظ كفرا واخبت قلوبا واشد عداوة له ولم يسموا بالمؤمنين
من البعد عنهم وان كان البعد متصفا بين طرب المسلمين ولهذا قال تعالى
المنافقين ذكرا بانهم امنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون وقال
فيهم صم بكم فم لا يرجعون وقال في الكفار صم بكم فم لا يفقهون قال الكافر
لم يعقل المنافق ابصر شي وعرف ثم تخاهل واقربتم الكفرة من ثم كفروا من كان
هكذا فهو اشد كفرا واخبت قلوبا واخبت على الله ورسوله فاستحق الدرك الاسفل
وفيه معنى اخر وهو ان كل من طعن على النفاق طلب العز والجاه بين الطائفتين فيرضوا
المؤمنين ليغفروهم ويرضوا الكفار ليغفروهم ايضا ومن هنا دخل عليهم البلا
فانهم ارادوا الغرضين الطائفتين ولم يكن لهم غرض في ايمان ولا اسلام ولا طاعة
عنه ورسوله بل كان ميلهم وصغورهم وجرأتهم الى الكفار فتعولوا على ذلك باعظم
الذل وهو ان جعل مستقرهم في اسفل سافلين تحت الكفار فما انصف به
المنافقون من مخادعة الله ورسوله والذين امنوا والاستمرار باهل الايمان
والكذب والتلاعب بالدين واظهار انهم من المؤمنين وانطواء قلوبهم على
الكفر والشرك وعداوة الله ورسوله امر اختصوا به عن الكفار فتخطت كفرهم
به فاستحقوا الدرك الاسفل من النار ولهذا لما ذكرنا اقسام الخلق في اول
سورة البقرة قسمهم الى مؤمنين ظاهرا وباطنا وكافرين ظاهرا وباطنا وهو مؤمن
في الظاهر كافر في الباطن وهم المنافقون ذكر في حق المؤمنين ثلاث آيات وفي الكفار
اثنتين فلما انتهى الى ذكر المنافقين ذكر فيهم بضع عشرة ذم فيها غاية الذم وثق
عور انهم ونقصهم واخبر بانهم هم السوء المفسدون في الارض المخادعون الله
المستترزون الغيبيون في استتارهم الفلانة بالهدى وانهم صم بكم فم لا يرجعون
وانهم مرضى القلوب وان الله يريد هم مرضا الى مرضهم فلم يدرج ذما ولا عيبا الا

ذمهم وهذا يدل على شدة مقتته سبحانه ثم وبغضه اياهم وعداوتهم لهم وانهم ابغض
اعدائهم اليه فظهرت حكمته الباهرة في تخصيص هذه الطبقة بالدرك الاسفل من النار
نحو ذمهم من مثل حالهم ونسأله معافاة ورحمته ومن تأمل ما وصف الله به المنافق
فقد علم ان من صفات الذم علم انهم احق بالدرك الاسفل فانه وصفهم بما
دعته ومخادعته عبادته ووصف قلوبهم بالمرض وهو مرض الشهوات والشكوك
وصفهم بالافساد في الارض وبالاستمرار بدنيهم وعبادته والطغيان واشتغالهم
بالهوى والهمم واليه والعمى والحرى والكسل عند عبادته والباطل وقلة
ذكره والتردد والتذبذب بين المؤمنين والكفار فلا الى هو ولا الى حق ولا
والخلق باسمه يخافون باطلا وبالكذب وبغاية الجبن وبعدم الفقه في الدين
وبعدم العلم والنحل وبعدم الايمان بالله وباليوم الآخر وبالرب وبانهم مفسدون
على المؤمنين لا يحصل لهم محبة من الاشرار الا شرهم ينالهم بالشر والقاء
الفتنة وكرههم الظهور وامرهم وبخس الحق وانهم يخزنون بما يحصل للمؤمنين
من الخير والنصر ويخرجون بما يحصل لهم من الخسرة والابتلاء وانهم يترهبون الدوائر
بالمسلمين ويكرههم الاتفاقي في مراضات الله وسبيله ويعيب المؤمنين ورسولهم
بما ليس لهم فيهم من المنصدين ويعيبون مزهدهم ويبرمون مكشركهم واورادة
الشيا في الناس وانهم عبيد الدنيا ان اعطوا منها رضى او ان منعوا منها كطوا
وبانهم يؤذون رسول الله وينسبون اليه ما يراه الله منه او يعيبونه بما هو من كماله
وفضله وبانهم يقصدون ارضا مخلوقين ولا يطلبون ارضا رب العالمين وانهم
يسخرون من المؤمنين وينصرون اذا خالفوا عن رسول الله ويكرهون
الجهاد في سبيل الله وانهم يتجملون على غيظ فرايض الله بانواع الخيل وانهم يرضون
بالخلف عن طاعة الله ورسوله وانهم مطبوع على قلوبهم وانهم يتركون ما اوتوا

الله عليهم مع قدرتهم عليه وانهم اخلق الناس بالله قد اتخذوا ايمانهم جنة بغيرهم
من انكاد المسلمين عليهم وهذا شأن المنافق اخلق الناس بالله كاذبا قد اتخذ
يمينه جنة ووقاية يتي بها انكار المسلمين عليه ووصفهم بانهم رجسوا الحسن من
كل جنس اخيه واقدرة قهره اخيه بنى ادم واقدرة ربه وارذله وبانهم فاسقون
وبانهم مضرة على اهل الايمان بقصدون التفرق بينهم ويؤون من حادهم
وحارب الله ورسوله وانهم يشبهون بهم في اعمالهم ويضاهونهم ليتوصلوا
بها الى الاضداد بهم وتفرق كلمهم وهذا شأن المنافقين ابدوا بانهم فتنوا
انفسهم بكفرهم بالله ورسوله وبانهم يصوبوا المؤمنين دوائر السوء وهذا عادتهم
في كل زمان وارتابوا في الدين فلم يصدقوا به وغمروا الاماني به الباطل وغيرهم
الشيطان وانهم احسن الناس اجساما ما تلي الي ارجاسهم والسامع منظرهم
فاذا جاوزت اجسامهم وقولهم رايته خيالا مستندة لا ايمان ولا فقه ولا علم ولا
صدق بل خشب قد كسيت كسوة تروق الناظر ليس له راد كشيء واذا عرض
عليهم التوبة والاستغفار ابوها ونحو انهم لا حاجة لهم اليها اما لان ما عندهم
من النعمة والرحمة المركبة مغني عنها وعن الطاعات كلها لجلالة كمالهم من الاله
دقة واما احتقاروا نذر رايهم يدعونهم الى كفرهم ووصفهم بتقيا لا يستمر اليه وبانهم
وبرسولهم وبانهم مجرمون وبانهم يامرون بالمشركين يهون عن المعروف وبانهم يفتنون
عن الاتفاق في سبيل الله ورضائه وبنسبهم ذكره وبانهم يقولون الكفار ويدعون
المؤمنين وبان الشيطان قد اطلق عليهم وغلبي عليهم حتى انساهم ذكر الله فلا
يذكرونه الا قليلا وانهم ضرب الشيطان وانهم يوادون من حاد الله ورسوله
وبانهم يمتنعون ما يعنت المؤمنين ويشوق عليهم وان الغضا يبدوا لهم من افوا
هم وعلى فلتات السننهم وانهم يقولون بافواهم ما ليس في قلوبهم ومن

صفاتهم

صفاتهم التي وصفهم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم الكذب في الحديث والخيانة في الامانة
والغدر عند العهد والخور عند الخصام والخلق عند الوعد وثاخير الصلاة
الى اخر وقتها ونقضها حجة واسرا عاوتك حضورها جماعة وان انقل الصلوات
عليهم الصبر والعشا ومن صفاتهم التي وصفهم الله بها الشرح على المؤمنين بالخبر
والجبن عند الخوف فاذا زال الخوف وجا الامن سلكوا المؤمنين بالسنة
حدا فم اعد الناس السنة عليهم كما قيل **جهلا علينا وجينا عن عدوكم**
لبست الخلفان الجمل والحسن وانهم عند الخوف تظهر كايدين صدورهم
ومخباتها واما عند الامن فيستره فاذا خلق المؤمنين خوف دبت عقارب
قلوبهم وظهرت الخفيات وابتدأت الاسرار ومن صفاتهم انهم اعذب الناس السنة
واسمهم قلوبا واعظم الناس في الله بين اعمالهم واقوالهم انهم يكذبون اقوالهم
وباطنهم يكذب ظاهريهم ومنهم تناقض علانيتهم ومن صفاتهم ان المؤمنين لا
يثق بهم شيء فانهم قد اعدوا لكل امر خراجا منه بحق او باطل يصدق او يكذب
ولهذا سمي متافكا اخذوا من نافقا اليربوع وهو بيت يحفره ويحعل له اسوايا
مختلفة فكل امرئ يطلب من سرب خرج من سرب فلا يتمكن طالع من حصه في سرب
واحد قال الشاعر **ويخرج اليربوع من نافقائه ومن بينه ذوالنخلة** **اليتق**
فانت فيه كقبض على الما ليس بمكسنة **ومن صفاتهم كثرة التلون وسرعة التقلب وعدم**
الثبات على حال واحد بينا تراه على حال تحب من دين او عبادة او هدي صالح
او صدق اذ انقلب الى ضد ذلك كما انه لم يعرف غيره فهو أشد الناس تلونا
وتقلبا وتنقلا جيفة بالليل قطربا بالهار ومن صفاتهم اذ ادعواهم عند المنازعة
الى الحق اقم الى القرآن والسنة ابو ذلك واعرضوا عنه ودعواهم الى الحق اقم الى طوا
غيتهم قال تعالى **الم تر الى الذين يزعمون انهم امنوا بما انزل اليك وما انزل من**

قبله يريدون ان يتجسروا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان
يفضلهم ضلالا لا بعيدا واذا قيل لهم اتبعوا الى ما اتى الله والى الرسول رايتم انما
فحين يصرون عند صدور افكيق اذا اصابهم مصيبة بما قد اريد لهم ثم جازوا
يخلفون باسمه ان اردنا الا احسانا وتوفيقا اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم
فاحضروهم وعرضهم وقلوبهم في انفسهم قولا بليغا ومن صفتهم معارضة ما
جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم بقول الرجال وارايتهم ثم قد يرميها على ما جاء به معرضون
عنه معارضون له زاعمون ان الهدي في اراء الرجال وعقولهم دون ما جاء به
فلو اعرضوا عنه وتعرضوا عنه بغيره لكانوا منافقين فكيف اذا اجتمعوا الى ذلك
معارضته ونزعهم انه لا يستفاد منه هدي ومن صفتهم كتمان الحق والتلبيس
على اهلهم ورميهم بالبدوايتهم فيمن وافهم اذا امروا بالمعروف او نهوا عن
المعكر او دعوا الى الله ورسوله بانهم اهل فتن مفسدون في الارض وقد علم
الله ورسوله والمؤمنون اهل الفتن المفسدون في الارض واذا دعوا ورثة
الرسول الى كتاب الله والى سنة رسول الله خالصة غير مشوبة بدمهم بالبدع
والضلال واذا رآهم زاهدين في الدنيا راغبين في الآخرة متمسكين بطاعة الله
ورسوله رسولهم بالدعوة والنبيس والمحال واذا رآهم حقا البسوة لباس الباطل
واخرجوه لضعف العقول في قاله لينفروهم عنه واذا كان معهم باطل البسوة
لباس الحق واخرجوه في قاله ليقتل منهم وجملة امرهم انهم في المسلمين كالمخل
في القودير ورجوعهم على اكثر الناس لعدم بصيرتهم بالتفقد ويعرف حاله الناس
قد البصير من الناس وقليل ما هم وليس على الاديان اضمر من هذا الضم من
الناس وانما تفقد الاديان من قبلهم ولهذا حكم الله امرهم في القرآن واوضح او
صافهم وبين احوالهم وكره ذكرهم لشدة المؤنة على الامة بهم وعظيمة البلية عليهم

بوجود

بوجودهم بين اظهرهم وفضط حاجتهم الى معرفتهم والتحرر من مسايقهم والاصفا اليهم
فانهم طغوا على السالكين الى الله طريقا الهادي وسلوكهم سبل الهدى ووعدهم
هم ومنوعهم ولكن وعدهم الغرور ومنوعهم الويل والشور فكم من قتل ولكن
في سبيل الشيطان وسليب ولكن لباس التقوى والايمان واسير لا يترك له الخلاص
وقار من الله لا اليه وهيئات الاحسين منا صحتهم توجب العار والشار ومود
تهم تحل غضب الجبار ودخول النار من علقته به كلاب طهرهم ومخالب دايهم منقذ
منه ثياب الدين والايمان وقطعت لم مقطعات البلاء والخرابان فهو يسر من
الحرمان والثقاوة اذ لا لا ويمشي الهدي اذ بان منه وهو يحسب ذلك اقبارا فهو
قطاع الطريق حافيا ايها الركب المسافرون الى منازل السعدا خذرا منهم خذرا
وهم الخزانة السنتهم بشفا ربلا يافتل منهم ايها العلم فراروا من البلية انهم
الاعداء حقا وليس لنا بد من مصاحبهم وخطتهم اعظم الداء ليس لنا بد من مخالطة
لظهم قد جعلوا على ابواب جهنم دعاة اليها فبعدا للنجسين ونصبوا اشباكهم
صالحها على ما خفت به من الشهوات السموات فويل للمعتدين نصبوا الشياطين
ومدوا الاشرار واذن مؤذنه باسبابه الانعام في الهلاك في على العذاب
فاستبقوا بهرعون اليه فاوردتهم حياض العذاب لا التوارد العذاب وانما هم
من الخلق والبلاء اعظم خطم وقال ادخلوا باب الهوان صاغرين ولا تقولوا
خطم فليس يوم خطم فوالله ما من نجا من اشرارهم لا من علقوا في نجو منهم
من غلبت عليه شقاوته ولها خلق تحقيق باهل هذه الطبقة ان يخلوا بالحل
الذي احلهم الله من دار الهوان وان ينزلوا في ادنى منازل العناد والكفران
وحجب ايمان العبد ومعرفة يكون خوفه ان يكون من اهل هذه الطبقة ولهذا
اشد خوف سادات الامة وسابقوها على انفسهم ان يكونوا منهم فكان

عائذهم



عن ابن الخطاب يقول يا خديفة نشدتك الله هل سميت في رسول الله صلى الله عليه وسلم
مع القوم فيقول لا ولا انني بعدك احدا يعني لا افرح على هذا الباب في تركه
الناس ليس معناه انه لم يبرأ من النفاق غيرك وقال ابن ابي مليكة ادركت ثلاثين
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه ما منهم احد يقول
انا على ايمان حبريل وميكائيل **الطبعة السادسة عشر**
طبقة رؤسا الكفرة ايمته ودعائه الذين كفروا وصدوا عباد الله عن الايمان
وعن الدخول في دينه رغبة ورهبة فهو لا عذابهم مضاعف وويل عذابان
عذاب بالكفر وعذاب بصد النفاق عن الدخول في الايمان قال تعالى الذين كفروا
وصدوا عن سبيل الله نذرناهم عذابا فوق العذاب فانذرتهم بكفرهم
والعذاب الاخر بهدمهم عن سبيل الله وقد استقرت حكمة الله وعمله ان يجعل
على الداعي الى الضلال مثل اثم من اتبعه واستجاب له ولا ريب ان عذاب هذا
يتضاعف ويتزايد بحسب من اتبعه وفضل له وهذا النوع في الاشياء متقابل
دعاه الهدي في السعد فاولئك يتضاعف ثوابهم وتعلو درجاتهم بحسب
من اتبعهم واهتدي بهم وهو لا يحسمهم ولهذا كان فرعون وقومه في
اشد العذاب قال تعالى في صهم النار يعرضون عليها غداوا وعشيا ويوم
تقوم الساعة ادخلوا في فرعون اشد العذاب وهذا تنبيه على ان فرعون
نفسه في الاشد من ذكره لانه انما دخلوا اشد العذاب تبعاله فانه هو الذي
استخفهم فاطاعوه وغرهم فاتبعوه ولهذا يكون يوم القيمة امامهم وقرانهم
في هذا اليوم وقد قال تعالى يقدم قومهم يوم القيمة فاودهم النار والمقصود
انهم انما استحقوا اشد العذاب لتغلظ كفرهم وصدهم عن سبيل الله وعقوبتهم
من امن بالله فليس عذاب الروسا في النار كعذاب اتباعهم ولهذا في

كتاب النبي صلى الله عليه وسلم له قل فان توليت فان عليكم اثم الا انتم اثم والنجاس
في اللقطة انهم لا يتابعون وهذا لان عدو الله ليس اهل النار عذابا وهو اول من
يكتسب حلة من النار لانه امام كل كفر وشرك وشرقا عصي الله الاعلى يدبره وبسببه ثم
الامم فالامم مثل من نوابه في الارض ودعائه ولا ريب ان الكفر يتفاوت فكفر
اغلظ من كفر كما ان ايمان يتفاوت فایمان افضل من ايمان فاما ان المؤمنين
ليسوا في درجة واحدة بل هم درجات عند الله فكذلك الكفار ليسوا في طبقة
واحدة وذكر واحد بل النار درجات كما ان الجنة درجات ولا يعلم الله من خلقه
احدا وهو الغني الحميد **فصل** ويغلظ الكفر الموجب لتغلظ العذاب
يكون من ثلاثة اوجه احدها من حيث العقيدة الكافرة في نفسها كمن تجدد
رب العالمين بالكلية وعطل العالم عن الرب الى الابد لم يزل فلم يزل من باه ولا
بلايكة ولا كسبه ولا رسله ولا اليوم الاضرب وهذا لا يفر باب هذا الكفر بالجنة
عند كثير من العلماء ولا توكل ذبايحهم ولا تنكح نسائهم اتفاقا لتغلظ كفرهم
وهو لا هو المعطلة والدهرية وكثير من الفلاسفة واهل الوحدة الناكسين بانه
لا وجود للرب تعا غير وجود هذا العالم الجبرية الثانية تغلظ الكفر
والضلال عند علي بصيرته لكا الكفر من شهد ان الرسول حق لما رآه من آيات
صدق وكفر عن ادوا بغيا كقوم ثمود وقوم فرعون واليهود الذين عرفوا
الرسول كما عرفوا انباءهم وكفروا في جهل وامية ابن ابي الصلت وامثال هؤلاء الجهمية
الثالثة السعي في اطفاء نور الله وصد عباد الله عن دينه بما تصل اليه قدرتهم
فهو لا اشد الكفر عذابا بحسب تغلظ كفرهم ومنهم من يجمع في حقه طرائف
الثلاث ومنهم من يكون فيه ثنائ منها او واحدة فليس عذاب هو لا كعذاب
من هو دونهم في الكفر من هو ملبوس عليه لجهله والمؤمنون من اذاه في

سلامه لا ينافي منه اذى ولم يتغلظ كفره كمتغلظ كفره لابل هو مقرب اليه ووجه
 ومليكه وجنس الكتب والرسول واليوم الاخر وان شاربك او شاربك في كفرهم
 بالرسول فقد زادوا انواعا من الكفر وهل يستوي في النار عذاب ابي طالب
 وابي لهب وابي جهل وعقبة ابن ابي معيط وابي ابن خلف واضرارهم والمقصود
 ان هذه الطبقة طبقة الرؤساء الدعاة الصادقين عن دين الله ليست كطبقة
 من دونهم وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان اهل النار عذابا
 ابو طالب ومعلوم ان كفرا في طالب لم يكن مثل كفرا في جهل وامثال **الطبقة**
السابعة عشر طبقة المقلدين وهم جهال الكفرة واتباعهم ومجبريهم
 الذين منهم تبع يقولون انا وجدنا ابائنا على امه وانا على اثارهم ولنا اسوة
 بهم ومع هذا هم متاركون لاهل الاسلام غير محاربين لهم كمناسا لحيار بين
 وخدمهم واتباعهم الذين لم ينصبوا انفسهم لما نصب له اولياء انفسهم من
 السعي في اطفاء نيرانهم وعدم دينهم واتخاذ كل امة بل هم معهم بمنزلة الدواب
 وقد اعتقت الامة على ان هذه الطبقة كفار وان كانوا جهالا مقلدين لغير
 سائرهم واتباعهم الا ما يحكي عن بعض اهل البدع انه لم يحكم لهولا بالنار وجعلهم
 بمنزلة من لم تبلغه الدعوة وهذا مذهب لم يقل به احد من ائمة المسلمين ولا
 الصحابة ولا التابعين ولا من بعدهم وانما يعرف عن بعض اهل الكلام
 الحديث في الاسلام وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من مولود الا
 وهو يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويجسانه فخير ان يهود
 ينقلنه عن الفطرة الى اليهودية والنصرانية والمجوسية ولم يعبر في ذلك غير
 المراب والمشا على ما عليه الابوان وصح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان الجنة
 لا يدخلها الا نفس مسلمة وهذا المقلدين مسلم وهو عاقل مكلف والعاقل

طبقة
 تبلغ

المكلف

المكلف لا يخرج عن الاسلام او الكفر وامام من لم تبلغه الدعوة فليس بمكلف في
 تلك الحال وهو بمنزلة الاطفال والجهانين وقد تقدم الكلام عليهم والاسلام
 هو توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له والايمان برسوله واتباعه فيما
 جاء به فاما بات العبد بهذا فليس بمسلم وان لم يكن كافرا معاندا فهو كافرا جاهلا
 ففانية هذه الطبقة انهم كفار جهال غير معاندين وعدم عنادهم لا يخرجهم
 عن كونهم كفارا فان الكافر من تجرد توحيد وكذب رسول الله اما عنادا
 واما جهلا وتقليدا لاهل العناد فهدوا وان كان غايته انه غير معاند فهو
 متبع لاهل العناد وقد خبر الله تعالى في القرآن في غير موضع بعذاب المقلدين
 لاسلافهم من الكفار وان الا اتباع مع مشيوعهم وانهم ينجون في النار
 وان الا اتباع يقولون ربنا هو لا اذلو فافانهم عذابا ضعفا من النار قال الظل
 ضعف ولكن لا تعلمون وقال تعالى اذ ينادي اهل النار فيقول الضعفاء للذين
 استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار قال الذين استكبروا
 انا كفر فيها ان الله قد حكم بين العباد وقال تعالى ولو ترى اذ الظالمون موقوفون
 عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين
 استكبروا المولى انتم لكننا مومنين قال الذين استكبروا للذين استضعفوا
 ان نحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاكم بركنتكم مجرمين وقال الذين استضعفوا
 للذين استكبروا ابل مكر الليل والنهار اذ ناسروهم ان تكفربا لله وتجعل له
 ندا فهدوا اخبار من الله وتحذير بان التبعين والنابعين استكروا
 في العذاب ولم يغن عنهم تعليمهم شيئا واخرج من هذا قوله تعالى اذ تبرأ الذين
 اتبعوا من الذين اتبعوا وراوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب وقال الذين
 اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرأ منهم كاتبرأ واما وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم

انه قال من دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل اوزاده من اتبعه لا ينقص من اوزار
رهم شيئا وهذا يدل على ان كفر من اتبعهم انما هو كفر وانما عقوبتهم وتقليد حكمهم
لا بد في هذا المقام من تفصيل نزول الاشكال فحق الفرق بين مقلد ممكن
من العلم ومعرفة الحق فاعرض عنه ومقلد لا يمكن من ذلك بوجه والقسا
واقعان في الوجود فالتكليف المعروض مفرط نادر للواجب عليه لا عذر له عند الله
واما العاجز عن السؤال والعلم الذي لا يمكن من العلم بوجه فهو قسما ايضا
احدهما من يدلي مؤثر له فكل لم غير قادر عليه ولا على طلبه لعدم من يشره
فهذا حكم حكم ارباب الفترات ومن لم يبلغ الدعوة الثاني في معرض الادلة له
ولا يثبت نفسه بغير ما هو عليه فالاول يقول يا رب لو اعلم لك دين اخيرا مما
انا عليه لدرت به وتركت ما انا عليه ولكن لا اعرف غير ما انا عليه ولا قدرة لي
على غيره فهو غاية جهدي ونهاية معرفتي والثاني راض بما هو عليه لا يوشع
عليه ولا يطلب نفسه سواء ولا فرق عنده بين حال تجزئه وقدرته وكلاهما عاجز
وهذا لا يجب ان يلحق بالاول لما بينهما من الفرق فالاول كمن طلب الدين في
الفترة ولم يظفر به فعذر عنه بعد استغفار الواسع في طلبه عجزا وجهلا والثاني
في كس لا يطلبه بل مات على شركه وان كان لو طلبه لتجزئه ففرق بين عجز الطالب
وعجز المعرض فنامل هذا الموضع وانه يقضي بين عباده يوم القيمة بحكم وعذله
ولا يعذب الا من قامت عليه الحجة بالرسول فهذا مقطوع به في جملة الخلق واما كون
زيد بعينه وعمر بعينه قامت عليه الحجة ام لا فقد كدما لا يمكن الدخول بين الله
وبين عباده فيه بل الواجب على العبد ان يعتقد ان كل من دان بدين غير دين الاسلام
فهو كافران الله سبحانه لا يعذب احدا الا بعد قيام الحجة عليه بالرسول ههنا
في الجملة والتعيين من كمال العلم انه عز وجل وحكمه هذا في احكام الثواب والعقاب

واما

واما في احكام الدنيا في جارية على ظاهرها الامر فاطفال الكفار ومجانينهم في
احكام الدنيا حكم اوليائهم وبهذا التفصيل نزول الاشكال في المسئلة وهو
مبنى على اربعة اصول احدها ان الله سبحانه لا يعذب احدا الا بعد قيام الحجة
عليه كما قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقال رسلا مبشرين ومنذرين
ليلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وقال كلما اتى فيها فوج سألهم خزنتها
الم يا لكم نذير قلوا بلى قد جانا نذير فكذبنا وقلنا ما نزلناهم من شيء وقال تعالى
فاعرضوا بنذرناهم فحق الاصل ان السعير وقال تعالى يا معشر الجن والانس اني
اتاكم رسلا منكم يتلون عليكم اياتي وينذرون لكم لعلكم تهتدون فلو لم يشره
على انفسنا وعزنا لم الحياة الدنيا وشهيدنا على انفسهم انهم كانوا كافرين وهذا
كثير في القرآن بخبرنا انما يعذب من جاءه الرسول وقامت عليه الحجة وهو
المنزب الذي يعترف بنذبه وقال تعالى وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين
والظالم من عرف ما جاء به الرسول او تمكن من معرفته ثم خالفه واعرض عنه
واما من لم يكن عنده من الرسول اخبر اصلا ولا تمكن من معرفته بوجه وعجز
عنه ذلك فليق يقال انه ظالم الاصل الثاني ان العذاب يستحق بشيئين احدهما
الاعراض عن الحجة وعدم ارادة العلم بها وبموجبها الثاني العناد لها بعد قيام
مها وترك ارادة موجبها فالاول كفر اعراض والثاني كفر عناد واما كفر الجمل
مع عدم قيام الحجة وعدم التمكن من معرفتها فهذا الذي نفي الله التعذيب
عليه حتى تقوم حجة بالرسول الاصل الثالث ان قيام الحجة يختلف باختلاف
الازمنة والامكنة والاشخاص فقد تقوم حجة الله على الكفار في زمان دون
زمان وفي بقعة وناحية دون اخرى كما تقوم على شخص دون اخر اما لعدم
عقله وتيسره كالصغير والمجنون واما لعدم فهمه كمن لا يفهم الخطاب

ولم يحضره ثمان بن جهم لم فهذا بمنزلة الاسم الذي لا يسمع شيئا ولا يترك من الشفاه
وهو واحد لا يبعد الذين يدعون على الله بالحق يوم القيمة كما تقدم حديث
الاسود بن سريج الاصل الرابع ان افعال الله عز وجل تابعة طائفة التي لا يخل
بها شيء وانما تصوده لقابلياتها المحبوبة وعواقبها الحميدة وهذا الاصل
هو اساس الكلام في هذه الطبقات التي عليها ينبغي مع تلي احكامها من نصوص
الكتاب والسنة لا من الالرجال وعقود ولا يدري قدر هذا الكلام في هذه
الطبقات الا من عرف ما في كتب الناس ووقف على احوال الطوائف في هذا الكتاب
وانتهى الى غاية مرادهم ونهاية اقدامهم واسمى بانه الموفق للسداد الهادي الى
الرشاد وامان لم يثبت حكمة ولا تعليل وزاد الامر الى محض المشيئة التي ترجح
احد الطرفين على الاخر لا من حجة فقد راجح نفسه من هذا المقام الضائع واقام
عقاب هذه المسائل العظيمة وادخلها كلها تحت قوله لا يسأل عما يفعل وهو الفاعل
لما يريد وصدق الله وهو اصدق القائلين لا يسأل عما يفعل له كمال حكمته وعلمه
ووضعه الاشياء مواضعها وان لم يدر في افعال خلو ولا عبث ولا فساد يسأل عنه
لا يسأل الخلق وهو الفاعل لما يريد ولكن لا يريد ان يفعل الا ما هو خير ومصلحة
ونعمة وحكمة فلا يفعل الشر ولا الفساد والجور ولا خلاف مقتضى حكمته لخالق السباب
وصفاته وهو الغني الجيد العليم الحكيم **فصل الطبقة الثامنة**
عشر طبقة الجن وقد اتفق المسلمون على ان منهم المؤمنين والكافرين والنافقين
قال تعالى اجزاء عنهم وانما الصالحون ومنادون ذلك كطوائف قد راجح
في اهد يعنون مسلمين وكافرين وقال الحسن والسبح امثالكم فمنهم قردة
وسجينة ورافضة وقال سعيد بن جبيل الواسطي وقال ابن كيسان شيئا وفقا
ومعنى الكلام اصنافا مختلفة ومذاهب متفرقة ثم قيل في اعراب الآية ومنا

الطبقة
التي
بلغ

دون ذكر اي ومناقوم دون ذكر في ذل الموصوف واقام صنفهم مقامه كقولهم
وما منا الا له مقام معلوم اي من له مقام معلوم وكقولهم ومن الذين هادوا واسبأ
عون للكذب وكقولهم من الذين هادوا ويحرفون الكلام عن مواضعه اي فريق
يحرفون الكلام وكقولهم وعلى اظهر القولين ومن الذين اشركوا برب واحد احدهم
اي فريق يود احدهم قال الشاعر فقلوا او منهم ومنهم سابق **فصل**
واحد يذكر في دعم العين بالهمزة اي ومنهم من دعم وقوله كذا طريق
قد ابيان لقولهم منا الصالحون ومنادون ذلك اي كذا في طريق
وفي المذاهب واحد ها طريقه وهي المذهب والقدر جمع قرده كقطعة وقطع
وزنا ومعنى وهي من القدر وهو القطع وقيل المعنى كذا في اختلاف الوانها مثل
الطرائق المختلفة في اختلافها وعلى هذا فالمعنى كذا في طريق قد راجح
واضعف منه قول من قال ان طريق منصوب على الظرف اي كذا في طريق مختلفة
كقولهم كما عسل الطريق الثعلب وهذا مما لا يخل عليه افع الكلام وقيل المعنى كانت
طرائقها طريق قد اختلف المضاف واقام المضاف اليه مقامه وقال تعالى اخبار
عنه وانما المسلمون ومن القاسطون قاسطون الذين امنوا بالله ورسوله منهم
والقاسطون اي يرون العادلون عن الحق قال ابن عباس هم الذين جعلوا
له انداد اي قال قسط الرجل اذا عدل فهو مقسط ومثله واقسطوا ان الله يحب المقسطين
وقسط اذا جار فهو قاسط واما القاسطون فكانوا الجهل من خطاياهم وقد تضمنت
هذه الايات انقسامهم الى ثلاث طبقات صالحين ودون الصالحين وكفار وهذه
الطبقات باز طبقات بني ادم فانها ايضا ثلاثة ابرار ومقتصدون وكفار فالصا
طون باز الابرار ومن دونهم باز المقصدون والقاسطون باز الكفار وهذا
كما قسم بني اسرائيل الى هذه الاقسام الثلاثة في قوله وقطعناهم في الارض

بما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك فلهو لا ينجون منهم ذكر الظالمين وهم
 خلق السوء الذين خلفوا بعدهم ولما كان الانس كل من الجن وانهم عقوق لا ازدادوا
 عليهم بئلاثة اصناف اخر ليس شيء منها الحسن وهم الرسل والانبيا والمقربون فليس
 في الجن صنوف من هو لا يرغبتهم الصلاح وذهب شذوذ من الناس الى ان فيهم
 الرسل والانبيا حتى اعلى ذكر يا معشر الجن والانس انكم رسل منكم وقوله تعالى
 واذا صرفنا اليك نفر من الجن يستمعون القرآن فلما حضروا قالوا انصتوا فلما
 قضى ولوا الى قومهم منذرين وقد قال تعالى رحلا مبشرين ومنذرين وهذا قول
 شاذ لا يلتفت اليه ولا يعرف به سلف من الهيا اية والتابعين واية الاسلام وقوله
 تعالى انكم رسل منكم لا يدل على ان الرسل من كل واحد من الطائفتين بل اذا كانت
 الرسل من الانس وقد امرت الجن بانبا علمهم ان يقال للانسر والجن انكم رسل
 منكم ونظير هذا ان يقال للعرب والنج انكم رسل منكم يا معشر العرب والنج فهذا
 لا يقتضي ان يكون من هو لا رسل من هو ولا وقال تعالى وجعل الذين هم نورا وليس
 في كل اسماء واما قوله تعالى ولوا الى قومهم منذرين فالانذار عمن الرسالة والامر
 لا يستلزم الا خضوعا لهما فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين
 ولينذروا قومهم فلهذا انذروا ليسوا برسل قال غير واحد من السلف الرسل من الانس
 والجن فقيمهم النذر قال تعالى وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم من اهل
 القرى فهذا يدل على انه لم يرسل جنيا ولا امرأة ولا بدويا واما تسمية تعالى الجن
 رجالا في قوله وانه كان رجالا من الانس يجوز ان يرسل من الجن فلم يطلق عليهم
 الرجال بل هي تسمية مقيدة بقوله من الجن فم رجال من الجن ولا يستلزم ذلك دخولهم
 في الرجال عند الاطلاق كما تقول رجال من حجارة ورجال من خشب ونحوه

فصل

وقد اتفق المسلمون على ان كفارا الجن في النار وقد دل على ذلك

القرآن في غير موضع كقوله تعالى ولكن حق القول مني لا طلاق جهنم من الجنة والانس
 اجمعين وقوله لا طلاق جهنم منكرو من تبعك منهم اجمدين فلوها منه به وكذا
 ذرية وقال تعالى ادخلوا فيهم قد خلت من قبلهم من الجن والانس في النار وقال تعالى
 حكايه عن مؤمنهم وانما المسلمون ومنا القاسطون فمن اسلفا ولما قرأوا رسدا
 واما القاسطون فكانوا لجهنم طباقا وقال تعالى ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس
 نسر وقال تعالى فكيف يكون فيها هم والفاوون وجنود ابليس اجمعون ان لم يخص بالشيء
 طين من ذرية فهم داخلون في عمومهم وبالجملة فهذا امر معلوم بالا اضطرار من دين
 الاسلام وهو يستلزم تطبيق الجن بشرية الانبيا ووجوب اتباعهم لهم فاما
 شريعتنا فاجمع المسلمون على ان محمد صلى الله عليه وسلم بعث الى الجن والانس وانه يجب
 على الجن طاعته كما يجب على الانس واما قبل نبينا صلى الله عليه وسلم فقولهم تعالى ادخلوا
 في ام قد خلت من قبلهم من الجن والانس في النار يدل على ان الامم الخالية من
 كفار الجن في النار وذلك انما يكون بعد فاقمة الحجمة عليهم بالرسالة وقد دلت
 سورة الرحمن على تكليفهم بالسراج كما كلف الانس وهذا يقول سبحانه في انذاره
 فباي الاوربك انكذبان قد دل ذلك على ان السورة خطاب للثقلين معا وهذا
 قرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن قراة تبليغ واخبر صحابه انهم كانوا
 اصبر ردائهم فانهم جعلوا يقولون كلما قرأ عليهم فباي الاوربك انكذبان انه
 لا تكذب شيء من الايمان ربنا فلا اله الا هو وما كان ابوهم هو اول من دعا الى معصية
 الله وعلى يده حصل كل كفر فسوق وعصيان فهو الداعي الى النار كان اول من يكسب
 حظه من النار يوم القيمة يسجها وينادي وابشوا له وابشوا له من اولاده وغيره
 خلفه ينادون وابشوا له حتى قيل ان كل عذاب يقسم على اهل النار يبدل فيه ثم يبدل
 واما حكم مؤمنهم في النار الاخرة فجمهور السلف والخلق على

فصل

انهم في الجنة وترجم على ذلك النبي ابي رجة في صحيحه فقال **باب ثواب الجن وعقابهم**
لقوله تعالى يا معشر الجن والانس اني انا انزل اليكم رسلي فليصون عليكم اياتي اياتي بخا نقصانا
قال مجاهد وجعلوا بينهم وبين الجنة نسيبا قال كفار قرشي الملائكة بنات الله وامهات
ثم سروات الجن قال الله تعالى ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون يحضرون الجنة ثم ذكر
حديث ابي سعيد اذ كنت في غمراء وباء ديتك فذنت بالصلاة فرفع صوتي بالحمد
فانه لا يسمع مدى صوت المودون جن ولا انس ولا شيء الا شهد له يوم القيمة بالثواب
سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا ما ذكره في الباب وقد ذهب جمهور الناس
الى ان مؤمنهم في الجنة وحكي عن ابي حنيفة وغيره ان ثوابهم بخلاف من النار واصح
لهذا القول بقوله تعالى طاعة لهم يا قومنا احيوا داعي الله وامواتهم يغفر لكم من
ذنوبكم ويجزيكم من عذاب اليم فجعل ثوابهم اجازتهم من العذاب الا اليم واما
الجمهور فقالوا مؤمنهم في الجنة كما انهم في النار ثم اختلفوا فاطلق اكثر الناس
دخول الجنة ولم يقيده وقال سهل بن عبد الله يكونون في ربض الجنة يراهم المؤمنون
من حيث لا يدرون فلهذا مذهب الناس في احكامهم في الآخرة واما احكامهم
في الدنيا فاضلوا الناس هل هم مكفونون بالامر والنهي ام مضطرون الى فعلهم على
قولين طاهر ابو الحسن لا شعري في كتاب المقالات لم فقال واختلف الناس في
الجن هل هم مكفونون ام مضطرون فقال قائل من المعتزلة هم مأمورون منهمون
وقد امروا ونهوا وهم مختارون وزعمنا عيون انهم مضطرون قلت الصواب
الذي عليه جمهور اهل الاسلام انهم مأمورون منهمون مكفونون بالشريعة
الاسلامية وادلة القرآن والسنة على ذلك اكثر من ان تحصى فاضافة هذا القول
الى المعتزلة بمنزلة ان يقال ذهب المعتزلة الى القول بعباد الابدان وخود ذلك ما هو
من اقوال سائياهل الاسلام وقال تعالى وليك الذين حق عليهم القول في امم قد خلت

من قبلهم

من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين فاضربان منهم من حق عليه القول
اي وجب عليه العذاب وانه خاسر ولا يكون ذلك الا في اهل التكليف المستوجبين
للعقاب باعمالهم ثم قال بعد ذلك والكل درجات مما عملوا اي في الجنة والشرع
نما ولا يظنون شيئا من اعمالهم وهذا ظاهر جدا في ثوابهم وعقابهم وان ثوابهم
كما يستحق العذاب باعمالهم يستحق الدرجات باعمالهم فكل درجات مما عملوا
فدل ذلك على انهم مأمورون بالشريعة متعبدون بها في الدنيا وكذلك استحقوا
الدرجات باعمالهم في الآخرة من الخير والشر وقال تعالى وفي الجنة قرنا من ثوابهم
ما بين ايديهم وما خلفهم وحق عليهم القول في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس
انهم كانوا خاسرين ومعنى الآية ان الله يقدر للشركيين اي سبب لهم قرنا من
السايطين يزينون لهم ما بين ايديهم من الملائكة في الدنيا وما خلفهم من التكذيب
بالآخرة وما فيهم من الثواب والعقاب وفيه عكس هذا وان ما بين ايديهم هو
التكذيب بالآخرة وما خلفهم هو رغبتهم في الدنيا وصرح الله تعالى الحسن ما
بين ايديهم هو حب ما كان عليه ابائهم من الشرك والتكذيب بالرسول وما خلفهم
تكذيبهم بالبعث وما بعده وفي الآية قول رابع وصوان التزيين كله راجع
الى اعمالهم فزينوا لهم ما بين ايديهم اعمالهم التي عملوها وما خلفهم اعمالهم التي
هم عازمون عليها ولما يعملوها بعد وكان لفظ التزيين بهذا القول الباطل
ومن جعل ما خلفهم هو الآخرة يستحق قوله الا باصمراي زينوهم التكذيب
بالآخرة ومع هذا فهو قول مستقيم ظاهر فانهم زينوا لهم ترك العمل بها والادب
ستعداد للقاء بها وهذا كان عليه جمهور اهل التفسير حتى لم يذكر البغوي غيره
وحكا عن الزجاج فقال الزجاج سبناهم قرنا من الملائكة من الشياطين حتى اصلوهم
فزينوا لهم ما بين ايديهم من امر الدنيا حتى اشره على الآخرة وما خلفهم من امر

الآخرة قد عودوا إلى التكذيب به وانكار البعث والمقصود ان قوله تعالى وحق عليهم القول
في ام قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا فاسقين اي وجب عليهم العذاب
مع ام قد مضت من قبلهم من الجن والانس في هذا ابراهيم دليل على تكليف الظلمين وتعلق
الامر والنهي بهم وتعلق بهم الثواب والعقاب وقال تعالى وبوم يشرع فيها ما معسر
الجن قد استكثرتم من الانس وقال اوليا وهم من الانس ربنا استمع بعضنا لبعض
وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا قال لنا ربنا انك خالدين فيها الا ما شاء الله وهذا صريح
في تكليفهم فان هذا القول يقال للجن يوم القيمة فيذكر الانس استماع بعضهم ببعض
في الدنيا وذلك الاستماع هو ما بين الجن والانس من طاعتهم اياهم في معصية
الله وعبادتهم ولم دون الله ليستعينوا بهم على شهود انهم واعراضهم فانهم كانوا ان
يستوصونهم ويعوذون بهم ويذجونهم ويأمنونهم ويؤولونهم من دون الله كما هو
الكثير المشركين من اوليا الشيطان فهذا هو استماع بعضهم ببعض وهذا يقول تعالى
ثم للامم انبياء وقد رجع العابدون اهلهم كانوا يعبدون قالوا سبح الله انت ولينا
من دونهم بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم هم مؤمنون فهو اهل عباد الجن واوليا
الشيطان والشرع يعلم ذلك ويضاهي به لما ينال به من النعمة بمعبوده وكثير منهم
مليون عليه فهو يعبد الشيطان ولا يشعر وقد اشار زيدا بن عمر وابن نفي في
شعره الى هذا الشرك بالجن فقال حنانيدان الجن كانت رجاها
وانت الالهى ربنا ورجائنا فلها يقولون في القيامة ربنا استمع بعضنا
ببعض وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا قال الله تعالى انك خالدين فيها الا ما شاء
الله فهذا خطاب للمصنفين وهو صريح في اشتراكهم في التكليف كما هو صريح في
اشتراكهم في العذاب وهذا كثير في القرآن وما يدل على تكليفهم ايضا قوله تعالى
يا معشر الجن والانس اني ارسلكم برسلي منكم فيصون عليكم اياي وينذرونكم لقاء يومكم

هذا

هذا قالوا شهدنا على انفسنا وغرانا الحياة الدنيا وشهدنا على انفسنا انهم كانوا
كافرين فلما اعترفوا بانهم كانوا كافرين وشهدوا على انفسهم بالكفر ذكروا
على تكليفهم وتوجه الخطاب اليهم وقال تعالى واذ صرنا اليك نفرات من الجن مستعجلين
القرآن فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قضى لهم الى قومهم منذرين قالوا يا قومنا
انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي الى الحق والطريق
مستقيم يا قومنا اجيبوا داعي الله وامنوا بربكم من ذنوبكم ويجزكم من عذاب
اليم ومن لا يجز الله فليس يحجز في الارض وليس له من دونه اوليا وليك
في ضلال مبين فقد يدل على تكليفهم من وجوه متعددة احدها ان الله سبحانه
الى رسوله يستمعون القرآن ليقوموا به ويأتمروا به وامروا به وينهوا عن نواهي
الثاني انهم ولوا الى قومهم منذرين والاذر هو الاعلام بالخوف بعد
انقضاء اسبابهم فعلم انهم منذرون في الانذار ان عصوا الرسول **الثالث** انهم
اخذوا انهم سمعوا القرآن وعقلوه وفهموه وانهم يهدي الى الحق وهذا القول
منهم يدل على انهم عالمون بموسى وبالكتاب المنزل عليه وان القرآن مصدق له وان
هادي الى صراط مستقيم وهذا يدل على تمكنهم من العلم الذي تقوم به الحق وهم
قادرون على امثال ما فيه والتكليف يستلزم العلم والقدرة **الرابع** انهم قالوا
لقومهم يا قومنا اجيبوا داعي الله وامنوا بربكم وهذا صريح في انهم مكلفون بما هو
رون باجابة الرسول وهي تصديقه فيما اخبر وطاعته فيما امر **الخامس**
انهم قالوا يغفر لكم من ذنوبكم والمغفرة لا تكون الا عن ذنب وهو في اللغة الامس
السادس انهم قالوا من ذنوبكم والذنب في اللغة الامر **السابع** انهم قالوا
ويجزكم من عذاب الله وهذا يدل على انهم لم يستجيبوا لداعي الله لم يجزهم من العذاب
الايهم وهذا صريح في تعلق الشريعة الاسلامية بهم **الثامن** انهم قالوا

ومن لا يجب داعي الله فليس يحجب في الارض وليس له من دونه اوليا وهذا تهديد
شديد لمن تخلف عن اجابة داعي الله منهم وقد استدلل بهذا انهم كانوا متعبدين
بشرية موسى كما متعبدون بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم وهذا ممكن والارادة
لا تستلزمه ولكن قوله تعالى يا معشر الجن والانس انكم رسل منكم الانية يدل على ان
الجن كانوا متعبدين بشريع الرسل قبل محمد صلى الله عليه وسلم والانية المتقدمة تدل على
ذلك ايضا وعلى هذا فيكون اختصاص النبي صلى الله عليه وسلم بالبعثة الى الثقلين هو
اختصاصه بالبعثة الى جميعهم لا الى بعضهم ومن قبله كان يبعث الى طائفة مخصوصة
وايضا فقد قال تعالى عن نبيه سليمان ومن الجن من يعمل بين يدين ربه ومن ينج
منهم عن امرنا نذكر من عذاب السعير وهذا محض التكليف وقد تقدم قوله تعالى حكاه
عزهم وانا منا المسلمون ومنا الفاسقون فمن اسلم فاولئك هم المفلحون واما الفاسقون
فلما نزلوا اليهم فطاعوا وصدق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اعلمهم القرآن
وانهم سألوه الدار والمعاد فاعلمهم فكل عظيم ذكر اسم الله عليه وكل بعثة علق له
وامم ونهايا عن الاستغناء بها واولم يكن في هذا الا قوله تعالى وما كنا معذبين
حتى نبعث رسولا وقد خبر انه يعذب كفرة الجن لكنني به حجة على انهم مكلفون
باتباع الرسل وما يدل على انهم مأمورون من الله بشريعة الاسلام ما تضمنته
سورة الرحمن فانه سبحانه ذكر خلق النوعين في قوله خلق الانسان من صلصال كالفخار
وخلق الجن من نار ثم خاطب النوعين بالطائفة المتضمنة للاستعداد
الايمان منهم وانكار تكذيبهم بالانية ونسب غيرهم في وعده ونحو ذلك من وعده
وتهديدهم بقوله سنفرج لكم ايها الثقلان ونحو ذلك من عواقب ذنوبهم وانه
لعلهم بها لا يخافون ان يسألوا عنها سوال استعلام بل يعترفون بجرمهم منهم سيما هم
فيؤخذوا صيغهم واقدارهم ثم ذكر عقاب الصنفين ونحوهم وهذا كله صريح

في انهم

في انهم هم المكلفون المأمورون الناهيون الثابون المعاقبون وفي الترمذي من حديث
عبد بن المنذر عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على اصحابه
فقد اعلمهم سورة الرحمن من اولها الى اخرها فسكتوا فقال لقد قرأتموها على الجن ليلة الجحيم
فلما نزلوا صرنا مردودا منكم كنت كلما اتيت على قوله فياي الا ربكم انكم تدان قالوا لا شيء
من نكركم بنا نكذب فلما نزل الجحيم وهذا يدل على ذكراهم وفطنتهم ومعجزاتهم بموا
قع الخطاب وعلمهم انهم مقصودون به وقوله تعالى في هذه السورة سنفرج لكم ايها
الثقلان وعبد المصنفين المكلفين بالشرايع قال قتادة معناه فرغ الدنيا وانقضا
وهاو شئ الاخرة والجزا فيها واسمها تعالى لا يشغله شئ عن شئ من الفراع في اللغة
يكون على وجهين فراع من الشغل وفراع بمعنى القصد وهو في هذا الموضع با
لمعنى الثاني وهو قصده لجازاتهم باعمالهم يوم الجزاء وقوله يا معشر الجن والانس
ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السماوات والارض فانفذوا لا تنفذون الا
بسلطان فيها قولان احدهما ان استطعتم ان تنفذوا ما في السماوات والارض علما
اي ان تعلموا ما فيها ما علموه ولن تعلموه الا بسلطان اي بينه من الله وعلى هذا
قال نفوذها هنا نفوذ علم الثقلين في السماوات والارض والثاني ان استطعتم
ان تحيوا عن امر الله ومحل سلطانه ومملكته بنفوذكم من اقطار السماوات والارض
رض وخروجكم عن محل ملك الله وسلطانه فاعلموا ومعلوم ان هذا من الممتنع عليهم
فانكم تحت سلطاني وفي محل ملكي وقد روي ابن كثير وقال الضحاك معنى الانية ان استطعتم
ان تهربوا عن الموت فاهربوا فانه يدرككم وهذه الاقوال على تقدير ان يكون
الخطاب لهم بهذا القول في الدنيا وفي الانية تقدير ضرره وان يكون هذا الخطاب
في الاخرة اذا طاعت الملائكة باقطار الارض واحاط سرادق النار بالاقاق
فهرب الخلايق ولا يجدون مهربا ولا منقذا كما قال تعالى ويا قوم اني اخاف

عليكم يوم التناوب يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم قال مجاهد فادبر غير محضين
وقال الضحاك اذا سمعوا زفير النار نذروا هربا فلا يتولون قطرا من الاقطار الا وحدا
الملايكة صفوا فاجتمعوا الى المكان الذي كانوا فيه وذكر قوله تعالى والملك على ارجائها
وقوله يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا
وهذا القول اظهر والله اعلم فاذا نزل الخ لا ينفق وولوا مدبرين يقال لهم ان استطعتم ان
تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا اي ان قدرتم ان تنفذوا من اقطار السموات
والارض فنفذوا واياكم حتى لا يقدر على عذابكم فافعلوا وكان ما قيل هذه الآية وما بعد ها يدل
على هذا القول فان قبلها سنفخ لكم ارباب الثقلان وهذا في الآخرة وما بعد ها فاذا
انشئت السماء فكانت وردة كالدخان وهذا في الآخرة ايضا فان هذا خطاب لجميع
الجن فانه اوفيه بصيغة العموم وهي قوله يا معشر الجن والانس فلا بد ان يشترك الكل
في سماع هذا الخطاب ومضمونه وهذا انما يكون اذا جمعهم اسم في صعيد واحد سمعهم
الداعي وينفذهم البصر قال تعالى ان استطعتم ان تخرجوا من اقطار السموات والارض فانفذوا
كما قال في آية اخرى يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تخرجوا من اقطار السموات والارض فانفذوا
على ارادة الصنفين اي لا يخص به صنف بل يرسل ذلك على الصنفين معا وهذا
وان كان مراد بقوله ان استطعتم خطاب الجماعة في ذلك بلفظ الجمع اي حسن اي
من استطاع منكم وصحت الخطاب بالثنية في قوله عليكم امر اخر وهو موافقة رؤس
الاي فاصلت الثنية بالثنية وفيه التسوية بين الصنفين في العذاب بالتنصيص عليهما
فلا يحتمل ارجح اللفظ ارادة احد هما والله اعلم وقال ابن عباس لسواظ اللهب الذي
لا دخان فيه والنفاس الدخان الذي لا لهب فيه وقوله في يومئذ لا يبال عن ذنبه
انصر ولا جان فاضاف الذنوب الى الثقلين وهذا دليل على انها سوا في التطبيق
واختلف في هذا السؤال المنفي فقبل هو وقت البعث والمصير الى الموقف لا يسألون

صينذ

صينذ ويبالون بعد طالة الوقوف واستغاثهم الى الله ان ياسبهم ويرحمهم من
مقامهم ذلك وقيل المنفي سؤال الاستعلام والاستخبار لسؤال الخاسية والحق ازالة
اي قد علم الله ذنوبهم فلا يسأل عن ذنوبهم من يريد علمها وانما ياسبهم عليها من
فصل فاذا علم تطبيقه سبحانه الانبياء ومطابقتهم بها وحشرهم يوم القيامة
للثواب والعقاب علم ان محسنهم في الجنة كما ان مسيئهم في النار وقد عرفت ذلك قوله
حكاية عن مومنينهم وانما اسمعنا الهديا من انابه من يوم من بره فلا يخاف جنبا
ولا رهقا وهذا الخ جازي وجبه الاجتناب بها ان الجسر المنفي هو
نقصان الثواب والحق الزيادة في العقوبة على ما عمل فلا ينقص من حسناته
ولا يزداد في سيئاته ونظير هذا قوله تعالى ومن يعمل من الصالحات وهو موثر فلا
يخاف ظلما ولا هظما اي لا يخاف زيادة في سيئاته ولا نقصا من حسناته وايضا قوله
قال تعالى في سورة الرحمن ولمن خاف مقام ربه جنتان فباي الا ربكما تكذبان وذكر
ما في الجنة من القوله لم يطعمهن انفسهم ولا جان وهذا يدل على ثواب محسنهم الجنة
من وجوه احدها ان من من صيغ العموم فيتناول كل فائق الثاني انه رب الجزا
المذكور على وقوف مقامه فذلك على استحقاقه به وقد اختلف في اضافة المقام الى الرب
هل هي من اضافة المصدر الى الفاعل او المنعوله على قولين احدهما ان المعنى ومن
خاف مقامه بين يدي ربه فعلى هذا هو من اضافة المصدر الى المفعول والثاني
ان المعنى ومن خاف مقام ربه عليه واطلاعه عليه فهو من اضافة المصدر الى
فاعله وكذلك القولان في قوله تعالى واما من خاف ربك من قبل فليكن له اجر عظيم
ونظيره قوله ذلك من خاف مقام ربه وعيد هذه ثلاثة مواضع وقد
يقال المرجح هو الاول وان المعنى خاف مقامه بين يدي ربه لوجوه احدها ان
ان طريقة القرآن في الخوف ان يخوفهم باسمه واليوم الاخر فاذا خوفهم به

علق الخوف به لا قيامه عليهم كقولهم تعالى فلا تخافون وخافون وذكر قوله ذلك
من خشيته وقوله يخافون ربه من قولهم ان الذين يخشون ربهم بالغيب
هم مغفرة واجبر في هذا كله لم يذكر خشية مقامه عليهم وانما مدحهم بخوفه
وخشيته وقد يذكر الخوف متعلقا بعذابه كقوله يرحون رحمة ويخافون عذابه
واما خوف مقامه عليهم فهو وان كان كذلك فليس طريقة القرآن الثاني ان
هذا نظير قوله وانذره الذين يخافون ان يحسروا الى ربهم فقولهم ان يحسروا
اليه هو خوفهم من مقامهم بين يديه والقرآن يفسر بعضه بعضا الثالث
ان خوف مقام العبد بين يدي ربه تعالى في الآخرة لا يكون الا من يوم
يلقائه وباليوم الآخر والبعث بعد الموت هذا هو الذي يستحق الجنسين المذكورين
تبيين فانه لا يوم من ذلك حق الايمان الا من امن بالرسول وهو من الايمان بالغيب
الذي جات به الرسل واما مقام الله على عباده في الدنيا واطلاعه عليهم وقدرته عليهم
فهذا يقربهم اليه المؤمن والكافر والبر والفاجر اكثر الكفار يخافون جزاء الله في
الدنيا لما عاينوا من عازاة الظالم بظلمه والحسن باحسانه واما مقام العبد بين يدي
ربه في الآخرة فلا يوم من به الا المؤمن بالرسول فان قيل اذا كان المعنى انه
خاف مقام ربه عليه في الآخرة بالجزا فقد استوى التقديران فمن اين رجحتم
احدهما قيل الخوف بمقام العبد بين يدي ربه ابلغ من الخوف بمقام الله على
العبد وهذا خوفنا سبب انه في قوله يوم يقوم الناس لرب العالمين ولانه
مقام مخصوص مضاف الى الله تعالى وذكر في يوم القيامة بخلاف مقام الله على العبد
فانه طرقت وايضا فانه لا يقال لقدرة الله على العبد واطلاعه عليه وعلمه به مقام
الله ولا هذا من المألوف اطلاقه على الرب تعالى وايضا فان المقام في القرآن والسنة
انما يطلق على المكان كقوله عسى ان يعثرك ربك مقاما محمودا وقوله تعالى انكوا

من جنات وعتيون وزور ومقام كريم خير مقاما واحسن نديا والمقصود ان
ولمن خاف مقام ربه جنات من وجوه تقدم وجهان الثالث قول عقيب
وعد فباي الاوربنا لكذبان الرابع انه ذكر في وصف نساءهم انهن لم
من انهن قبلهم ولا جان وهذا واسمه علم معناه لم يثبت نساء الا نساء قبلهم انهن
ساجن قبلهم وما يدل على ان ثوابهم الجنة قوله تعالى الذين امنوا وعلو
جات ان لا ينضج اجر من احسن عملا او ليدخل جنات عدن تجري من
نهارها ومثال هذه من العمومات وقد ثبت ان منهم المؤمنين فيدخلون
ايضا ان كافرهم يدخلون الكافرين المستحقين للوعيد ولا فرق بين دخول
انهم في آيات الوعد وبين دخول كافرهم في آيات الوعد بل دخول مؤمنهم في
وعد اولي من دخول كافرهم في آيات الوعد فان الوعد فضله والوعيد
ارفضله من رحمة وهي تغلب غضبه وايضا فان دخول عاصيهم النار انما كان في
نارهم امر الله فاذا اطاع الله ادخل الجنة وايضا فانه لا دار للمكفين سوى الجنة والنار
من لم يدخل النار من المكفين فدخل الجنة مؤمنا وايضا فقد ثبت انهم اذا اجابوا دعي
به فقد غفر لهم واجازهم من عذابه وكل من غفر الله له دخل الجنة ولا بد وليس
مادة المغفرة الا الفوز بالجنة والنجاة من النار وايضا فانه اذا ثبت ان الدخول
بعوث اليهم وانهم مكفون بالتباعد كان مطيعهم به ورسوله مع الذين اتبع الله
عليهم رتبة وايضا فقد خبر سبب انه عن ملايكة حملة العرش من حوله انهم يستغفرون
ربهم امنوا وانهم يقولون فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهرهم عذاب
شيء ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم فدل على ان كل مؤمن غفر الله له
وقواه عذابا لم يخطئ فقد وعد الجنة وقد ثبت في حق مؤمنهم الايمان والمغفرة
ان ذنب ووقاية النار كما تقدم فتعين دخولهم الجنة والله اعلم واذا ثبت تكفيرهم

وانقسامهم الى المسلمين والكفار والصالحين ودون ذلك فهم في
 نحو طبقات الانس المتقدمة الا انهم ليس فيهم رسول وفضل درجات
 الصالحين ولو كان لهم درجة افضل لذكروها فقد دل القرآن على اننا
 الى ثلاثة اقسام صالحين ودونهم وكفار وزاد عليهم الانس بدرجات
 والنبوة ودرجة المقربين والله تعالى اعلم فهذا ما وصل اليه الاقسام
 المكلفين في الدار الاخرة وهي ثمان عشرة طبقة وكل طبقة منها لها اعلى واد
 وهم درجات عند الله والله تعالى يحشر الشكر مع شكره والتقدير مع نظيره
 بينهما في الدرجة قال الله تعالى احضر الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا
 يدرون الله قال الامام وقله عمر ابن الخطاب ازواجهم اشباههم
 وقال تعالى واذا النفوس زوجت رى النعمان ابن بشير رضي الله عنه
 ابن الخطاب انه سئل عن هذه الآية فقال يقرب بين الرجل الصالح مع
 في الجنة ويقرب بين الرجل مع الرجل السوء في النار وقال الحسن و
 كل امرئ شيعته اليه يدي باليهود والنصارى وقال الشيخ
 كثر الصالح صاحب علم وفي الآية ثلاثة اقوال اصرحها ان تزويج النفوس
 اقترانها باجسادها ودها اليها الثاني ان تزويجها اقترانها باعمالها الثالث
 ان تزويج المؤمنين باطوار العير وتزويج الكفار بالباطين والقول الا
 ولا يظهر والله اعلم والمحمد رب العالمين وصلى الله على محمد سيدنا واله وحبه
 وسلم تسليمها كثير الى يوم الدين حسنا الله ونعم الوكيل وكان الفرع من كتابته
 بمحمد الله وعونه وحسن توفيقه يوم الاربعاء خرمادى
 الاخر سنة ١٢٠٠ الخ على يد الفقير الى الله تعالى عبد الرحمن



بلغ مقابلة

ابن جود غفر الله له ولوالديه ومثاليه
 وشيخ الاسلام محمد ومولى الكتاب
 وشيخه ومن اواجه ونصيرهم

نكته

حسن